وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة إبن خلدون –تيارت–

كلية الآداب واللغات

قسم : اللغة والأدب العربي

تخصص : أدب حديث ومعاصر

الموضوع: مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في .....

العنوان:

الأسـطـورة العـقائديـة

فـي سجـــــع الـــكهّان

من إعداد الطالبتين:

– لكحل كريـمة

– داودي سـمية

تحت إشراف الأستاذ:

د. بوشريحـــة إبراهيم

لجنـــة المناقشة:

د. بوعزيز علي..... ..... **رئيســا.**

أ/د **بوشريحـــة إبراهيم** ..... **مشـرفا.**

أ. بن يعقوب زهرة..... **منـاقشا.**

السنة الجامعية : 2020/2019م الموافق ل1441/1440هـ.

شكـــر

بسم الله الرحمان الرحيم

قال الله تعالى:﴿وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على آداء هذا الواجب ووفقني في إنجاز هذا العمل.

نتقدم بخالص الشكر والعرفان، وعظيم التقدير إلى الأستاذ المشرف "بوشريحة إبراهيم" على حسن قبوله للإشراف على هذا العمل والذي لم بخل علينّا بتوجيهاته ونصائحه والذي كان عوناً لنا في إتمام هذا البحث.

كما نتوجه بخالص التقدير والإحترام والشكر إلى الأساتذة المحترمين

كما لاننسى أن نتوجه بجزيل الشكر والإمتنان وإلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد طيلة مشوارنا الجامعي على إنجاز هذا العمل المتواضع.

فألف تحية وشكر

إهــداء

إلى روح المصطفى محمد صلى الله عليه و سلم خير المعلمين ،إلى من تعهداني بالتربية في الصغر و كانا لي سراجا يضيء فكري بالنصح والتوجيه في الكبر أمي ،و أبي نور حياتي حفظهما الله

إلى من شملوني بالعطف ،وأمدوني بالعون،و حفزوني للتقدم إخوتي و أخواتي رعاهم الله

إلى كل اصدقائي الذين كانوا خير سند لي في هذا المشوار

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل بالفعل أو بالقول أدامكم الله سندا

إلى كل من علمني حرفا، وأخذ بيدي في سبيل تحصيل العلم والمعرفة

إلى كل من اعتبرتهم عائلتي الثانية، إليهم جميعا أهدي ثمرة جهدي ،و نتاج بحثي المتواضع

لكحل كريمة

إهــداء

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ...ونصح الأمة ...إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد ﷺ

يامن أحمل إسمك بكل فخر

يامن يرتعش قلبي لذكرك

إلى أبي العزيز أهديك هذا البحث

إلى ملاكي في الحياة ... إلى معنى الحنان والتفاني

إلى بسمة الحياة وسر الوجود.. إلى من كان دعائها سر نجاحي

وحنانها بلسم جراحي .. إلى أغلى الحبايب

" أمي الحبيبة "

إلى من كانوا يضيئون لي الطريق ويساندونني ويتنازلون على حقوقهم لإرضائي والعيش في هناء

إلى أخواتي حفظهم الله.

إلى كل أقاربي وصديقاتي وزميلائي وحبيباتي من دون إستثناء .

إلى كل من يذكرهم قلبي ونساهم قلمي أهدي هذا البحث.

داودي سمية

مقدمة

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد:

تعد الاساطير قديمها وحديثها من كنوز الإنسانية التي لا تقدر بثمن، فمضمونها شهادة على ماضي البشر وإدراكهم للعالم وتصورهم إياه. وإنها صورة لنا عنه وعنا، وندرك من خلالها الثابت والمتحول في المخيال الجماعي.

أما من حيث الصيغة فهي شكل من أشكال التعبير نسيج وحده، رحمه المولد له الفكر والخيال والوجدان، وأداته الرمز ومسكنه الذي تأوي إليه مستويات عديدة من الملفوظ، ولذلك تتبدى الأساطير من خلال مختلف السنين ضمن المكتوب في الحكايات والنصوص المقدسة وكتب التاريخ والأدب وضمن المعيش في الشعائر والطقوس والممارسات.

تبحث هذه الدراسة في "الأسطورة العقائدية في سجع الكهان" حيث جاءت الأسطورة مزيجة من عناصر شتى أساطير كونية وطقوسا دينية ورموزا حضارية وأساطير لكائنات خفية خارقة، حيث ظهرت تجليات تلك الأساطير على شكل ممارسات و عادات سحرية. فقد كانت تمثل علاقاتها بالكائنات، وأرائهم في الحياة، وكانت مصدر أفكارهم، ألهمتهم الشعر والأدب، وكانت الدين والفلسفة معا .

كما تعتبر الأساطير مجموعة من الاعتقادات القديمة التي آمن بها العرب قبل الإسلام كالأرواح من الجن والعفاريت،كانت مخلوقات أسطورية خارقة قادرة على التحكم في حياة البشر، وذلك كله بواسطة الكهان، والكهان عند العرب طائفة ذات قداسة دينية، وسلطان كبير لدى القبائل، شأنهم شأن الحكام في المنافرات، وكانوا يشغلون الوظائف الدينية في أماكن العبادات ويزعمون الاطلاع على الغيب وأن لكل منهم رئيا لأي صاحب من الجن.

وقد اتخذنا من هذا الموضوع محورا لدراستنا وعلى وجه التحديد دراسته في الحياة العقلية للإنسان لأن أغلب الدراسات انصبت حول موضوع الأسطورة في العصور القديمة والحديثة، ودراسته بشكل أشمل، كما جل البحوث تحدثت عن الأسطورة وسجع الكهان.

كل هذا يؤدي بنا إلى طرح التساؤلات التالية :

. ما الأسطورة العقائدية ؟ وما سجع الكهان؟

. هل العلاقة بين سجع الكهان والأسطورة علاقة تكاملية؟ وهل لها تأثير سلبي أم إيجابي في التفكيروالعقل البشري ؟

. ما علاقة الأسطورة بغيرها من الفنون المشابهة لها ؟

وللإجابة عن التساؤلات المطروحة قمنا بتقسيم البحث إلى فصلين سبقا بمقدمة ومدخل لكل فصل وتبعا بخاتمة ضمت جل النتائج التي تم التوصل إليها، ففي الفصل الأول المعنون ب:"السجع وسجع الكهان" وقد إحتوى على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول تعرضنا فيه إلى: مفهوم السجع وسجع الكهان .

وأما المبحث الثاني: الكهانة عند عرب الجاهلية وفي القرآن الكريم .

والمبحث الثالث: الكهانة والنبوة وما يتعلق بها .

أما الفصل الثاني اندرج تحت عنوان "الأسطورة العقائدية أو الدينية" مقسمين الفصل إلى ثلاثة مباحث جاءت على النحو التالي :

. المبحث الأول تحديد المفاهيم" الأسطورة . الأسطورة الدينية"

. المبحث الثاني: الأسطورة عند "العرب . القرآن الكريم . الغرب"

. المبحث الثالث: علاقة الأسطورة بغيرها من المصطلحات المشابهة لها وقد اعتمدنا في عرض مادة هذه الفصول على المنهج التاريخي مع آليتي الوصف و التحليل.

وقد اعتمدنا مجموعة من المصادر والمراجع من أبرزها:

. جواد علي في كتابه " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ".

. توفيق فهد في كتابه "الكهانة العربية قبل الإسلام ".

. أحمد كمال زكي في كتابه " الأساطـ ".

. فراس السواح في كتابه "الأسطو

وغيرهم من المصادر التي سنذكرها في القائمة. ومن هنا تتبين لنا الأسباب والأهداف التي من أجلها اخترنا هذا الموضوع الذي يحوي أهم نوع من الأساطير ألا وهي الأسطورة الدينية نذكرها كالتالي :

موضوعي كون الأساطير لون رائع من الأدب الممتزج بالتاريخ وإلزامات الأخلاق، لذلك لابد من الإلمام بها لفهم معتقدات البش، وعاداتهم وطبائعهم، وإدراك المثل والروح المتأصل لكل شعوب العالم، إضافة إلى حجم تعدد الآراء الذي تعرض له مصطلح الأسطورة مما جعله يلقى مصيرا من التعميم و التداخل مع مصطلحات أخرى (الخرافة، الحكاية البطولية ...).

ذاتي محاولة إضافة جديدة على موضوع الأسطورة و علاقتها بسجع الكهان، هذا مع ميولنا إلى هذا النوع من الدراسات التي تتوافق مع اختصاصنا.

وبالرغم من هذه الأسباب والأهداف الدافعة للدراسة والخوض في هذا الموضوع، إلا أننا اصطدمنا بعديد من العقبات والصعوبات التي عسرت علينا العمل لاسيما في هذه الظروف الاستثنائية التي يشهدها العالم ككل ألا وهي جائحة كورونا التي اندرج عنها غلق كلي للمؤسسات وحتى غلق المكتبات العامة والجامعية مما شكل لنا صعوبة في الحصول على المراجع، وكذا قلة المصادر التي اهتمت بدراسة هذا الجانب بالتحديد، فالموجود لا يخدم المطلوب دوما.إضافة إلى صعوبة التواصل مع الأستاذ المشرف، لكن هذه العقبات والمطبات قد ذللت بالرغبة والإرادة القوية في استكمال هذا العمل المتواضع عملا ذاتيا وموضوعيا.

وفي الختام أحمد الله على كرمه وفضله، وأشكر الأستاذ المشرف الأستاذ بوشريحة إبراهيم،و أقدم خالص شكري إلى أستاذي الكريم موازبي ربيع الذي لم يبخل علي بتوجيهاته السديدة التي رافقت البحث منذ أن كان فكرة إلى أن اكتمل، كما أشكر أساتذتي المناقشين على ما قدموه من جهد في قراءة هذه المذكرة وتقويمها وإننا لنرجو من الله أن يجزيهم عنا خير ما يجازي به عباده الصالحين والمخلصين ولا أنسى بالشكر جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ لاحتضاني في هذه المرحلة العلمية والدراسية وأخص بالذكر قسم اللغة العربية .

الفصل الأول

السجع وسجع الكهان

يشغل السجع مكانا هاما في الأدب والمجتمع منذ العصر الجاهلي، باعتباره فن من فنون النثر يعتمد مجموعة من الجمل المترادفة والمتوازنة والمتزاوجة يستخدمها الكاهن الذي يدعي معرفة الغيب في قضية من القضايا التي تعترض فردا أو جماعة، فهو يشكل ملمحا في غاية الأهمية من ملامح الكتابة العربية وإن أكثر أمثلة السجع في العربية دورا إنما توجد في القرآن، وإن القول بأن القرآن يتضمن سجعا معناه، نسبت إحدى الصفات البشرية إلى الله جل وعلا، وقد كان أعداء مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، يحاولون التحقير من شأن رسالته عن طريق وصفها بأنها مفتريات شاعر أو كاهن، و في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام، لم يكن السجع يرتبط فقط بالكلام الفصيح بوجه عام، بل بأقوال العرافين والكهان كذلك، وقد كان الاعتقاد الغالب في هؤلاء الكهان أنهم على اتصال بالجن، أو بالأرواح وأنهم يتمتعون بقدرات سحرية، كما كانوا يستعملون السجع لتأدية بعض الأغراض الوثنية، مثل التنبؤ بالمستقبل ولعن الأعداء وإبعاد الشر، فلم يكن الكهنة آنذاك يسجعون فحسب، بل كانوا يعمدون أيضا إلى ألفاظ غامضة مبهمة، حتى يتركوا فسحة لدى السامعين كي يؤوّل كل منهم ما يسمعه حسب فهمه وظروفه، فقط ضرورة للحكم في المسائل التي تصل إلى طريق مسدود وتحتاج إلى حل غيبي، وللتنبيه بأخطار محدقة .

ومن أهم ما كان يميز أسجاعهم عدم وضوح الدلالة وأن يكثر فيها الإختلاف والتأويل. وليس هذا كل ما يلاحظ على السجع الذي يضاف إليهم، فإنه يلاحظ عليه أيضا كثرة الأقسام والإيمان بالكواكب والنجوم والرياح وغيرها من الظواهر في اعتقادهم بأن فيها قوى و أرواحا حقيقية، ومن أجل ذلك يحلفون بها، ليؤكدوا كلامهم وليبلغوا ما يريدون من التأثير في النفوس .

مفهوم السّجع لغة:

السّجع مأخوذ من الأَصل الثّلاثي (س.ج.ع) وتسجّل المعاجم جملة من معانيه التي ترشدنا إلى أصل اشتقاقه، إذ يشتدّ الشّبه بينها وبين المعنى الاصطلاحي للسّجع، يقول (**علي بن اسماعيل بن سيّدة، ت 458هـ**) في معجمه (المحكم والمحيط الأعظم) "سجع يسجع سجعا: استوى واستقام، وأشبه بعضه بعضا، قال (**ذو الرّمة**):

قطعت بها أرضا ترى وجه ركبها **** إذ ما علوها مكفأ غير ساجع.**

وسجع الحمام يسجع سجعا: هدل على جهة واحدة، وفي المثل" ما سجع الحمام يريدون: الأبد... فسجعت النّاقة سجعا: مدّت حنينها على جهة، وسجعت القوس كذلك، قال يصف قوسا[1]:

وهي إذا انبضت فيها تسجع **** ترنم النّحل أبى لا يهجع.**

قوله: "تسجع" يعني حنين الوتر لإنباضه، يقول: كأنّها تحنّ حنينا متشابها، وكلّه من الإستواء والإستقامة والإنتباه وسجع له سجعا: قصد"[2]: وتعدّ تلك المعاني اللّغوية تفصيلا للتّعريف الذي قدّمه (**ابن فارس**) اللّغوي (**ت 395هـ**) في قوله:" السّين والجيم والعين أصل يدلّ على صوت متوازن"[3]، فالمفاهيم التي طرحها (**ابن سيّدة**) يلمح فيها جميعها خاصية التّوازن الصّوتي، فهي إمّا تعبير عن النّعم المتكرّر في هديل الحمامة، أو الحنين المتشابه في صوت النّاقة، أو مدى إنباضة التّوتّر الذي يماثل ترنّم النّحل.

[1].أبو الفضل جمال الدّين مُحَمَّد به مكرم بن منظور الإفريقي، اسان العرب، بيروت، دار صادر ودار بيروت، 1375هـ، 1956م، مادّة سجع، ج01، ص: 178.

[2]. المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، علي ابن اسماعيل بن سيدة، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط:01، مادّة (س.ج.ع)، ج01، ص: 178.

[3]. مقاييس اللّغة، ابن فارس اللّغوي، تحقيق:هبد السّلام هارون، القاهرة، مكتبة الخنجي، 1981م، مادة (س.ج.ع)، ج03، ص: .135

مفهوم السجع اصطلاحا:

أظهر ما يمكن الاستدلال عليه من تاريخ مصطلح السّجع، هو كونه مصطلحا موغلا في القدم باعتبار انتمائه إلى العصر الجاهلي وبدايته على يد الكاهنة وحريّ بنا حين نتصدّى لاستيضاح المفهوم الاصطلاحي للسّجع أن نعيّنه بداية في إطار النّظرات اللّغوية، فإنّ للغويين العرب منذ القدم أولويتهم في البحث الاصطلاحي بما في ذلك المصطلح البلاغي.

والملاحظ أنّ تعريف بعض المصطلحات القديمة كان يتم دون توضيح لخاصيات هذه المصطلحات، وإنّما كانت الإحاطة بمفاهيمها تعتمد على ما يمكن تسميته (التّعريف بالمشابهة)، وأعني به: تقريب المفهوم إلى ذهن المتلقّي من خلال مفهوم آخر شائع مشهور، وهذا ما حصل مع مصطلح السّجع، حيث صيغت التّعريفات الأولى له بالإحالة على القافية، الشّائع فحسب.

ويعدّ (**الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت 175هـ**) أوّل من عرّف السّجع باستخدام طريقة المشابهة؛ إذ يقول:"سجع الرّجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشّعر من غير وزن"[1]، ومن الملاحظ أنّ تعريف الخليل لم تمله طبيعة التّلقّي التي تحتكم إلى مصطلح القافية الشّائع فحسب، وإنّما أملته ميول (**الخليل**) ونوعية اشتغاله إذ انصبّ اهتمامه على الشّعر، وصار الأمل الذي يقيس عليه كلّ شبيه.

فالتّأصيل للشّعر كان أسبق من التّأصيل للأنواع الأدبية الأخرى، وقد أفرز عالم الشّعر مفاهيم استقرّت في ذهن المتلقّي، ولولا استقرار هذه المفاهيم لما أفلحت أن تؤدّي دورا في تبسيط المفهوم، والظّاهر أنّ (**الخليل**) حينما قفى على تعريفه بعبارة من غير وزن.[2]

ومن الواضح أنّ (**الخليل**) لم يكن يقصد أنّ الوزن لا مكان له مع السّجع مطلقا، والتّأمل الذي يبدو أقرب إلى الصّحة هو أنّ (**الخليل**) يعني أنّ الاتّفاق في الوزن ليس مشروطا بقدر ما هو

[1]. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، بغداد، مطبعة العاني، 1386هـ، 1967م، مادّة (س.ج.ع)، ص:244.

[2]. المرجع نفسه، ص:245

جائز، وهذا ما تؤكّده الأمثلة المسجوعة التي أوردها من كلام العرب، إذ كان أغلبها متّفقا وزنا [1]، ولقد حذف (**ابن فارس، ت395هـ**) عبارة (من غير وزن) حيث قال: "السّجع في الكلام هو أن يُؤتى به وله فواصل كقوافي الشّعر كقولهم:" من قلّ ذلّ".[2]

يقول (**أبو هلال العسكري**):"ينبغي أن تكون العواطف على زنة واحدة، وإن لم يمكن أن تكون على حرف واحد فيقع التّعادل والتّوازن"[3].

كما أنّ تعريف (**الخليل بن أحمد**) قد لقى صدى لدى البلاغيين ممّن نهجوا نهجه في التّعريف بالمشابهة، فهذا (**فخر الدّين الرّازي، ت 606هـ**) يقدّم تعريفا للسّجع اعتمادا على ما ذكره (**علي بن عيسى الرّماني، ت296هـ**)، فالسّجع عند (**الرّازي**)"هو تكف التّقفية من غير تأدية الوزن.[4] وفي "مفتاح العلوم" يقول (**السّكّاكي، ت226هـ**): الأسجاع في النّثر كالقوافي في الشّعر.[5]

وكما هو واضح من نص (ابن يعقوب) فإنّه عرّف السّجع مقاييسة، فكان قياس السّجع على القافية هو السّبب في ترشيح ذلك المفهوم الذي تبنّاه من خلال قوله:"وعلى كلّ حال فليست القافية عبارة عن تواطؤ الكلمتين في آخر البيتين، فالمناسبة في التّشبيه بها أن يراد بالسّجع في كلامه (يقصد **السّكّاكي**) اللّفظ لا توافقه الذي هو مصدر هو وصف لذلك اللّفظ...لأنّ الكلام في تحرير الاصطلاح"[6].

---

[1]. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، مادّة (س.ج.ع)، ص:244.

[2]. ابن فارس اللّغوي، مقاييس اللّغة، مادة (س.ج.ع)، ج03، ص: 135.

[3]. أبو هلال العسكري:كتاب الصّناعتين (الكتابة والشّعر)، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:01، 1981م، ص:289.

[4]. فخر الدّين الرّازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: إبراهيم السّامرائي، محمّد بركات حموي، عمّان، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، 1985، ص:65.

[5]. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمّد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الكتاب اللّبناني، ط:05، ج02، 1995م، ص:272.

[6]. ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح، بيروت، دار الهادي، ط:04، ج04، 1992م، ص:440.

يقول (**ابن سنان، ت 466هـ**) "السّجع هو تماثل الحروف في مقاطع الفصول" [1] ويعرّفه (**ابن الأثير، ت637هـ**) بأنّه:"تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور في حرف واحد"[2].

مفهوم السّجع وسجع الكهّان:

يعتبر السّجع على أنّه طريقة في الإنشاء، سارت منذ القدم في النّثر العربي؛ وهي تقوم على اتّفاق فاصلتي الكلام في حرف واحد من التّقفية [3].

وكذلك بأنّه شكل من أهمّ الأشكال الصّوتية التي تؤدّي إلى تكرار الأصوات في الخطاب الأدبي يحتلّ مكانة مرموقة في كثير من أنماط النّثر الفنّي على اختلاف العصور [4].

فلقد عرّفه (**ابن الأثير، ت630هـ**)، وذلك بقوله:"هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد" [5]، وهو ميزة من مميزات اللّغة العربية، فالسّجع في اللّغة بمعنى "استوى واستقام"، وأشبه بعض بعض بعضا، والسّجع الكلام المقفّى، والجمع أسجاع، أساجيع...قال (**ابن جنّي**):" سمي سجعا لاشتباه أواخره وتناسب فواصله، وسَجَعَ الحمام: هدل على جهة واحدة، وسجعْ الحمامة: موالدة صوتها على طريق واحد.[6]

ويمكننا القول أنّ السّجع حلية قديمة عند العرب، سبق ظهوره بمجيء الإسلام، وقد تجلّى ذلك في خطبهم وحكمهم وأمثالهم...الخ، وهو من المحسّنات التي لا ينفرد بها الخطباء والكتّاب، بل إنّنا نجد له أثرا في كثير من حكم العامّة وأمثالهم.

قال (**عبد الصّمد بن الفضل بن عيسى الرّقاشي**) وقد سئل:"لم تؤثر السّجع على المنثور وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن ؟ فأجاب: إنّ كلامي لو كنت لا آمُل فيه إلّا سماع الشّاهد لقلّ

---

[1]. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق: علي فودة، مكتبة الخانجي، ط:02، 1994م، ص:163 .

[2]. ابن الأثير، المثل السّائر، محمّد محي الدّين عبد الحميد، ج01، ص:195.

[3]. إميل بديع يعقوب : المعجم المفصّل في اللّغة والأدب، بيروت، دار العلم للملايين، المجلّد الثّاني، 1987م، ص:709.

[4]. محمّد التّحريشي: أدوات النّص، دمشق، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 2000، ص:26. .

[5]. ابن الأثير، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر ص:216.

[6]. إبن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر للطّبعة والنّشر، ط:01، ص: 128. .

خلافي عليك، ولكنّي أريد الغائب والحاضر والرّاهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط، وهو أحقّ بالتّقييد وبقلّة التّفلّت، وما تكلّمت به العرب من جيّد المنثور أكثر ممّا تكلّمت به من جيّد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشرة، ولا ضاع من الموزون عشرة"[1].

فهذا جواب صريح الدّلالة على أنّ الكلام المسجوع حقيق بأن يحفظ، ويروى لدى الغائب والحاضر، أمّا إذا أردت مخاطبة الحاضرين فلا ضير من استعمال الكلام المرسل الخالي من الوزن والقافية[2]. والأصل في السّجع إنّما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء والنّفس تميل إليه بالطّبع، ومع هذا فليس الوقوف في السّجع عند الاعتدال فقط، ولا عند توافق الفواصل على حرف واحد هو المراد من السّجع، إذ لو كان الأمر كذلك لكان كلّ أديب من الأدباء سجعا[3].

كما قد وضع (**ابن الأثير، ت630هـ**) شروطا للسّجع الحسن، وهذه الشّروط تمثّلت في ثلاثة أمور: الأول اختيار مفردات الألفاظ المسجوعة والتّراكيب، بحيث تكون بعيدة عن الغثاثة والبرودة، والثّاني أن يكون اللّفظ في الكلام المسجوع تابعا للمعنى لا المعنى تابعا للفظ، والثّالث أن تكون كلّ واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلّت عليه أختها.

ومن السّجع الحسن المستوفي لهذه الشّروط قول (**ابن الأثير**) من كتاب يتضمّن العناية ببغض النّاس، قال: "الكريم من أوجب لسائله حقّا، وجعل كواذب آماله صدقا، وكان خرق العطايا منه خلقا، ولم ير بين ذمه ورحمه فرقا.

وكلّ ذلك موجود في كرم مولانا أجراه الله من فضل على وتيرة وجعل همه على تمام كلّ نقص قديرة"[4].

---

[1]. أبو عثمان عمرو بن الجاحظ: البيان والتّبيين، تحقيق: درويش جويدي، بيروت، المكتبة العصرية، ج01، 2003، ص:175.

[2]. أبو داود: صحيح سنن المصطفى، بيروت، دار الكتاب العربي، ج02، ص:256.

[3]. عبد العزيز عتيق: علم البديع، بيروت، لبنان، دار النّهضة العربية، ص:215/.216

[4].المرجع نفسه ص:217/216.

وهناك فريق ذهب إلى ذمّ السّجع لأنّ الرّسول (**صلّى الله عليه وسلّم**) نهى عن سجع الكهّان، وذمّه فعن (أبي هريرة) قال:"اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها، فاختصموا إلى رسول الله (**صلّى الله عليه وسلّم**) فقضى دية جنينها غرة عبد أو وليدة، وقضى بديّة المرأة عاقلتها وورثها ولدها ومن معهم، فقال (**حمل ابن النّابغة الهذلي**):يا رسول الله كيف أغرم ديّة من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهَلَ، فمثل ذلك يطل فقال رسول الله (**صلّى الله عليه وسلّم**): إنّما هذا من إخوان الكهّان من أجل سجعه الذي سجع "[1]، أمّا (**أبو هلال العسكري**) فقد علّل الاستنكار بما عرف في سجع الكهّان من التّكلّف فيقول:"ولو كرّهه عليه الصّلاة والسّلام لكونه سجعا لقال: أسجعا، ثمّ سكت وكيف يذمّه ويكرّهه وإذا سلم من التّكلّف، وبرئ من التّعسّف لم يكن في جميع في صنوف الكلام أحسن منه"[2] .

أمّا (**الجاحظ**) فيرى أنّ النّهي عن سجع الكهّان وقع لقرب عهدهم بالجاهلية ولَبَقيتُها فيهم وفي صدور كثير منهم، فلمّا زالت العلّة زال التّحريم، وقد كانت الخطباء تتكلّم عند الحلفاء الرّاشدين؛ فتكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة، فلم ينهوا منهم أحدا"[3].

فهو بذلك يدافع عن السّجع، ويرى بأنّه من خصائص لغة العرب، وإنّما كان الذي كرّه الأسجاع بعينها، أنّ كهّان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم، وكانوا يدّعون الكهانة، وأنّ مع كلّ واحد منهم رئيا من الجنّ مثل عازمي جهينة ومثل شق سطيح وعزى سلمة وأشباههم، وكانوا يتكهّنون ويحكمون بالأسجاع[4]. يقول (**الإبراهيمي**):"إصطنع الكهّان السّجع ليروقوا السّامع ويروّعوه، وليسهل على النّاس فيحفظوه ويعوه، ولهم في حوك الكلام مقامات حسان، أخذ منها

[1]. أبو داود: صحيح سنن المصطفى، بيروت، دار الكتاب العربي، ج02، ص:256..

[2]. أبو هلال العسكري:كتاب الصّناعتين (الكتابة والشّعر)، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:02، 1981م، ص:286.

[3]. الجاحظ: البيان والتّبيين، تحقيق: عبد السّلام هارون، بيروت، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ج01، ص:177.

[4]. المرجع نفسه، ج:01، ص: 177/176.

(**ابن دريد، والهمذاني**) تلك المقامات الحسان، سبقوا في السّجع فما سبقتهم إلّا الحمائم، وأخذوه طبعا فما لحقهم فيه صنعا إلّا بعض ذوي العمائم [1]....وما عداها.

فبهذه الأسجاع كان الكهان يستميلون قلوب النّاس ويستلهمون عقولهم بشتّى الطّرق قال (**الإبراهيمي**):"الكاهن لا يداري، ولا يداهن، كلامه رمز، ليس فيه لمز، عاد غيره بالتّصريح فعاد بالتّجريح، ولاذ هو بالكهانة، فأمن المهانة، كان...فكان الزّاجر الرّادع، للفاجر الخادع، وكان فكان نذير السّارق، والمازق، والخاتل...كلام الكاهن ليس بالواهي والواهن، كأنّما وخزه الماء، أو لمسته السّماء، ففيه من الماء إبراق، وفيه من السّماء إشراق، شارف مكامن الغيوب ولما...وورد معين العربية فورد جمّا، عمر صحائف من ديوان العرب، وكان من شعرهم كالكرب من القرب" [2].

ونجد في بطون الكتب أمثلة من سجع الكهّان، وهو يستحقّ الدّرس والبحث لتحليل عناصره، وبيان صدقه من كذبه، وصحيحه من فاسده، وفي بعضه ما نسب إلى (**لزبراء الكاهنة**) محاكاة لأسلوب السّور القصيرة من القرآن الكريم، وهو مرحلة مهمة من مراحل تطوّر أسلوب الكلام عند العرب، وهو حريّ إذا بالدّراسة والبحث[3].

ولسجع الكهّان طريقة خاصّة به، ميّزه عن سجع غيرهم، فهو قصير الفقرات يلتزم التّقفية، وتساوي الفواصل من كلّ فقرتين أو أكثر، يعمد إلى الألفاظ العامّة المبهمة المعمّاة، وإلى تكوين الجمل الغامضة، ليمكن تأويلها تأويلات متعدّدة، وتفسيرها بتفاسير كثيرة، لا تلزم الكاهن فيقع في حرج كالذي يقع لو تكلّم بكلام واضح صريح.

فلقد كان الكاهن يلحق في الأسئلة ويمعن في الاستفسار حتّى يستنبط من ذلك بفطنته وذكائه ما يريد السّائل، فيعطيه جوابا مانعا شأن جواب السّحرة والعرّافين، كما كان يعمد إلى القسم

---

[1]. أحمد طالب الإبراهيمي:آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج03، ط:01، 1997م، ص:519

[2]. المرجع نفسه ص:519.

[3]. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ج08، ط02، 1413هـ/1993م، ص:741.

بظواهر الطّبيعة من كواكب ونجوم، وشمس وقمر، وليل ونهار وأمثال ذلك ممّا نجده في خطبهم وأقوالهم، وهو شيء يلفت الانتباه والنّظر فيه[1].

ويعدّ سجع الكهّان ضرب من الخطاب الدّيني الشّفاهي الذي يقوم أساسا في نسجه اللّغوي وبنيته الأسلوبية على الأسجاع، وهو فن قائم بذاته، ظهر في العصر الجاهلي وقد وصل إلينا مقترنا بأحاديث الكاهن وأقوال المتنبّئين الذين كانوا في زعم العرب آنذاك، على اتّصال وثيق بعالم الجنّ والقوى السّحرية والغيبية الأخرى التي كانت تساعدهم في أداء ما يناط بهم من وظائف كالتّنبؤ والكهانة ودرء الأخطار وصبّ اللّعنة على الأعداء أو التّزلف إلى الآلهة وما شابه ذلك، بمثل هذه الأسجاع، ممّا أَضفى على مثل هذا النّوع من الخطاب هالة من القداسة في النّفوس بوصفه ضربا من الحديث المفارق في لغته وتراكيبه وإيقاعاته للغة الحياة والأدب[2].

وقد ألّف الكهان النّطق بالسّجع حتّى غلب على كلامهم، واختصّ بهم كما اختصّ الشّعر بالشّعراء، فعرف لذلك بسجع الكهان "لما قضى النّبي (**صلّى الله عليه وسلّم**) في جنين امرأة ضربتها أخرى فسقط ميتا بغرّة على عاقلة الضّاربة، قال رجل منهم: كيف ندي من لا شرب ولا أكل، ولا صاح فاستهل، ومِثْلُ دمه يُطَلَّ ؟ قال: (**صلّى الله عليه وسلّم**) "أسجع كسجع الجاهلية"[3].

وأغلب مل كان يميّز سجعهم كثرة الأقسام، والإيمان بالكواكب، والنّجوم، والرّياح، والسّحب، واللّيل الدّاجي، والصّبح المنير، والأشجار، والبحار، وكثير من الطّير، وفي ذلك ما يدلّ على اعتقادهم في هذه الأشياء وأنّ بها قوى وأرواحًا خفية، ومن أجل ذلك يحلفون بها، ليؤكّدوا كلامهم ، وليبلغوا ما يريدون من التّأثير في نفوس هؤلاء الوثنيين[4].

---

[1]. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المرجع السابق، ص: 745.

[2]. محمّد رجب النّجار، النّثر العربي القديم من الشّفاهية إلى الكتابية، الكويت، دار العروبة للنشر والتّوزيع، ك02، ج01، ص:290/289.

[3]. الجاحظ عمرو بن بحر: البيان والتّبيين، ت: عبد السّلام هارون، بيروت، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ج01، ص:290/289..

[4]. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، القاهرة، دار المعارف بمصر، ص:423.

الكهانة:

هذا النّوع من النّظر والتّأمل، الغريب عن العقل السّامي، أخرج الكهانة من نسقها الخاص الذي هو نسق الدّين والنّبوة، ونسب إليها طبعا شيطانيا، معرّفا إياها على أنّها اتّصال الأرواح الإنسانية بالأرواح المجرّدة، ومعرفة الأحداث الجزئية التي تحدث في الكون بوساطة هذه الأرواح، غير أنّ هذه الطّريقة في رؤية الكهانة لم تحظى باتّفاق المؤلّفين القدامى ليست فقط لأنّها من منظورهم مغايرة للسّحر، بل ولأنّها تفلت أيضا من العلوم المادية، أو الطّبيعية.

ومن المؤكّد لا يمكن وضع حدّ فاصل واضح ونهائي بين السّحر والتّنجيم والكهانة[1].

باعتبارها إدّعاء الغيب في الأساس وموضوعها الإخبار على أمور غيبية بواسطة استراق الجنّ السّمع من السّماء، وإلقاء ما يسمعونه من الغيبيات إلى الكهنة[2].

ويقول (ابن خلدون) عن الكهان:" بحيث يكون العرّاف مفطورا على أن تتحرّك قوّته العقلية حركتها الفكرية بالإرادة، عندما يبعثها التّروع لذلك، وعندما يعوقها الحجز عن ذلك تتثبّت بأمور جزئية محسوسة أو متخيّلة، كالأجسام الشّفافة، وعظام الحيوانات، وسجع الكلام، وما نتج من طير أو حيوان، فيستديم ذلك الإحساس والتّخيل مستعينا به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده، ويكون كالمشيّع له، وهذه القوّة التي فيهم كمبدأ لذلك الإدراك هي الكهانة.

وقال (ابن عابدين):" الكاهن من يدّعي معرفة الغيب بأسباب، وهي مختلفة، لذا انقسم إلى أنواع[3] متعدّدة كالعرّاف والرّمال والمنجم: وهو الذي يعبر عن المستقبل بطلوع النّجم وغروبه، والذي يضرب بالحصى والذي يدّعي أنّ له صاحبا من الجنّ يخبره عمّا سيكون"[4].

وكان من رأي الجاهليين أنّ هناك وحيا يوحى إلى الكاهن بما يقوله، وقد قالوا لذلك المصدر الذي يوحى إليه: (شيطان الكاهن) كما قالوا المصدر الذي يوحى إلى الشّاعر يوحي شعره (شيطان

---

[1]. توفيق فهد، الكهانة العربية قبل الإسلام، بيروت، لبنان، شركة قدمس للنشر والتّوزيع، 2007، ص:55.

[2]. القلشقندي، مج الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف علي طويل، دمشق، دار الفكر، 1978، ص:154/1.

[3]. توفيق فهد، الكهانة العربية، قبل الإسلام، ص:58.

[4]. ابن حجر الهيثمي، الزّواجر عن اقتراف الكبائر، دار الفكر، ط:01، 1407، ص: 728.

الشّاعر)، فذلك لأنّ شيطان الكاهن يسرق السّمع ويلقي به إلى الكهنة، يسرقه من السّماء فيأتي به إلى الكاهن، ويلقي ما استرقه إليه فيلقي الكاهن ما ألقى عليه شيطانه إلى النّاس، فبذلك يتنبّأ لهم، سأل رسول الله (**صلّى الله عليه وسلّم**) ناس عن الكهّان، فقال: "ليسوا بشيء فقالوا : يا رسول الله إنّهم يحدّثونا أحيانا بشيء فيكون حقّا، فقال رسول الله (**صلّى الله عليه وسلّم**):إنّهم من الحقّ، يحفظها من الجنّي، فيقرّها في أذن وليّه، فيخلطون معها مئة كذبة. " [1] وفي إعطاء مثال عن (السّيد المسيح) يقول (المسعودي):" كان (السّيد المسيح) يعلم الغائبات من الأمور، ويخبر عن الأشياء قبل كونها لأنّه كانت فيه نفس عالمه بالغيب، ولو كانت تلك النّفس في غيره من أشخاص ناطقين لكان يعلم الغيب".

وذهبت طائفة أخرى إلى أنّ التّكهّن سبب نفساني لطيف يتولّد من صفاء مزاج الطّباع، وقوّة النّفس، ولطافة الحسّ، وذكر كثير من النّاس أنّ الكهانة تكون من شيطان يكون من الكاهن، فيخبره بما غاب[2] عنه، وأنّ الشّياطين كانت تسترق السّمع وتلقيه على ألسنة الكهّان، فيؤدّون إلى النّاس الأخبار بحسب ما ورد إليهم.

وفي طليعة بعض النّاس الموهوبين، بما لهم من قدرة خفية خارقة وإلهام، الاتصال بالآلهة وبالأرواح والاستئناس بها، والأخذ منها، والحصول على علم غزير منها يتعلّق بالمستقبل عامّة، وبمستقبل كلّ إنسان خاصّة، أو التّأثير عليها بصرف الغير إلى شخص ودفع الأذى عنه، وبتوجيه الشّر إلى شخص يراد توجيهه إليه وإيذاؤه، ويقال للاتّصال بالآلهة أو الأرواح لمعرفة المستقبل، والتّنبؤ عمّا سيحدث: (الكهانة Dirination) ويقال لمن يقوم بذلك، أمّا الذي يزعم أنّ في إمكانه التّحكّم في الأرواح وتوجيهها الوجهة التي يريدها، فيقال له: ساحر، ويقال لعمله (السّحر) "[3].

[1]. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط:02، ج06، 1413هـ، 1993م، ص:758.

[2]. توفيق فهد، الكهانة العربية، قبل الإسلام، بيروت، لبنان، شركة قدمس للنشر والتّوزيع، 2007، ص:57-56.

[3]. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص:756-755.

والتّكهن عن المستقبل والتّحدث عن الماضي موضوع له حروف عديدة، وقد عدّ علما من العلوم عند الكثير من الأمم، وألفوا فيه وتنبؤا الأصنام هو نوع من هذه الأنواع، ويدخل في التّكهن التّنبؤ بواسطة وسيط: مكالمة صنم أو (تابع) أي (رئي)، وقراءة كبد الشّاه وقراءة أعضائها كما كان عند البابليين وعند المصريين والتّكهّن بحركات الطّيور، وتفسير الأحلام، وتفسير بعض الطّوام الطّبيعية وما شابه ذلك، وكلّ هذه كانت معروفة عند الجاهليين، وليس من الضّروري أن يكون التّكهّن بتكليم الصّنم حتما وفي المعبد بالضرورة، فقد كان من الكهّان من يقيم في بيته ويتكهّن مع ذلك للنّاس، ينطلق بما يوحى إليه، وبما يشعر به، وقاصدوه يرون أنّ فيه قوة خارقة وقابلية لتلقي الوحي من تلك القوّة التي يتصوّرونها على هيأة شخص غير منظور يلقي إلى الكاهن الوحي، فينطلق بما يناسب المقام، وبما يكون جوابا على الأسئلة التي توجّه إليه[1].

وعن (عمر بن حصين) ﷺ قال: قال رسول الله (**صلّى الله عليه وسلّم**):"ليس منّا من تطيّر أو تطيّر له، أو تكهّن أو تكهّن له، أو سحر، أو سحر له، ومن أتى كاهنا فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمّد (**صلّى الله عليه وسلّم**)، وعن أبي هريرة ﷺ عن النّبي (**صلّى الله عليه وسلّم**) قال:"من أتى كاهنا فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمّد (**صلّى الله عليه وسلّم**)[2].

ويكون التّكهن، في الغالب، في مكان هادئ تكتنفه ظلمة أو عتمة، لأنّ للهدوء والظّلام أثرا عظيما في النّفوس، ويسبقه حرق بخور في الأكثر يستمرّ إلى ما بعد انتهاء التّنبؤ، لأنّ البخور من الرّوائح الطّيبة التي تؤثّر في الأرواح، فتجعلها إلى المكان بسرعة، ثمّ إنّ له تأثيرا خاصّا في الأعصاب، وهو بذلك مادّة صالحة في الإيجاد لمن يقصد استشارة الكهّان[3].

وعلى هذا النّحو كان الكهّان في المجتمع الجاهلي ومنها أنّهم يحذرون أقوامهم من مصائب ستحصل، أو حروب ستجري، وكانوا يقدّمون لهم النّصح عن طريقة أو كيفية التّصرّف في مثل هذه

[1]. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المرجع السّابق، ص:757.

[2]. عبد الله بن باز، حكم السّحر الكهانة وما يتعلّق، الرّياض، المملكة العربية السّعودية، الإدارة العامّة لمراجعة المطبوعات الدّينية، ط:04، 1427، 2006، ص:05.

[3]. عبد الله بن باز، حكم السّحر الكهانة وما يتعلّق، مرجع سابق، ص:761.

المواقف ومجابهة الأقطار واجتنابها، كما فعل كاهن (بني الحارث) عندما حذّر قبيلة من غزو (بني تميم)؛ لأنّ في ذلك خطر عليهم يقول:" إنّكم تسيرون أعقابا...وتغزون أحبابا...سعدا ورباثا...وتزدون مياها جبابا...فتلقون عليها ضرابا...وتكون غنيمتكم ترابا...فاسمعوا نصحي ولا تغزوا تميما[1].

الكهانة عند عرب الجاهلية:

كان الكهّان منتشرين في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكانت لهم مكانة كبيرة عند العرب، وكان العرب يلجئون إليهم لاستشارتهم في الأمور المعضلة، كما كانوا يستعلمون منهم عن أمور الغيب، والأحداث التي تقع في مقبل الزّمان[2]، وكان العرب يعتقدون في الكاهن القدرة على كلّ شيء، فكانوا يستشيرونه في حوائجهم ويتقاضون إليه في خصوماتهم، ويستطبّونه في أمراضهم، ويستفتونه فيما أشكل عليهم، ويستفسرون منه في رؤاهم، ويستنبئونه عن مستقبلهم، وبالجملة فالكهّان عندهم هم أهل العلم والفلسفة والطّب والقضاء والدّين، شأن تلك الطّبقة من البشر عند سائر الأمم القديمة في بابل وفينيقية ومصر وغيرها[3].

وذكر البعض أنّ الكهانة تكون من قبل شيطان يكون من الكاهن يخبره بما غاب عنه، وأنّ الشّياطين كانت تسترق السّمع وتلقيه على ألسنة الكهان فيؤدّون إلى النّاس الأخبار بحسب ما يراد إليهم، وقد أخبر الله عزّ وجلّ في كتابه فقال:"وأنّا لمسنا السّماء فوجدناها ملئت حرصا شديدا وشهبا"[4]، وقوله تعالى: "يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا"[5]، وقوله تعالى:"وإنّ الشّياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم"[6]. والشّياطين والجنّ لا تعلم الغيب، وإنّما ذلك لاستراقها السّمع ممّا

---

[1]. صفوت أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، القاهرة، شركة مكتبة مطبعة مصطفى البالي الحلبي وأولاده، ج01، ص:08.

[2]. عمر سليمان الأشقر، عالم السّحر والشّعوذة، عمان، الأردن، دار النّفائس للنشر والتّوزيع، ط03، 1418هـ/1997م، ص: 275.

[3]. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربية، بيروت، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، ط02، 1978م،181/1 .

[4]. سورة الجنّ: الآية 08.

[5]. سورة الأنعام: الآية 112 .

[6]. سورة الأنعام: الآية: 121 .

تسمع من الملائكة بمظاهر قوله تعالى:"فلمّا خرّ تبيّنت الجنّ أنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين"[1].

وكانت الكهانة فاشية في الجاهلية حتى جاء الإسلام فلم يسمح فيه بكاهن، وكان ذلك من معجزات النّبوة وآياتها.

وكانوا يقولون: إذا ألف الجنّي إنسانا وتعطّف عليه، وخبّره ببعض الأخبار وجد حسّه ورأى خياله، فإذا كلن عندهم كذلك قالوا: مع فلان رئي من الجنّ، يخبره بما وقع ويقع من الأسرار، وقد كان لكلّ كاهن وعرّاف رئي يخبر صاحبه بما يسأل عنه[2]. والتّكهن عن المستقبل والتّحدّث عن الماضي، موضوع له فروع عديدة، وقد عدّ علما من العلوم عند كثير من الأمم وألفوا فيه، وتنبؤ الأصنام هو نوع من هذه الأنواع، ويدخل في التّكهنّ التّنبؤ بواسطة وسيط: مكالمة صنم أو "تابع" أو "رئي" وقراءة كبد الشّاة وقراءة أعضائها كما كان عند البابليين وعند المصريين، والتّكهن بحركات الطّيور، وتفسير الأحلام، وتفسير بعض الظّواهر الطّبيعية، وما شابه ذلك وكلّ هذه كانت معروفة عند الجاهليين[3] .

والكهانة من العلوم الدّخيلة على العرب، جاءتهم من بعض الأمم المجاورة لهم، والغالب أنّ الكلدان حملوها إليهم مع علم النّجوم، ويؤيّد ذلك أنّ الكاهن يسمّى في العربية أيضا "حازي" أو"حزاء" وهو لفظ كلداني معناه الاشتقاقي (النّاظر، أو الرّائي، أو البصير) وهو يدلّ عندهم على الحكيم والنّبي، وأمّا لفظ "الكاهن" قد اقتبسه العرب بعدئذ من اليهود الذين نزحوا إليهم على إثر ما أصابهم من النّكبات في (أورشليم) وخصوصا بعد خرابها على يد (طيطس) سنة 70 للميلاد، وقد أخذت العرب عنهم كثيرا من الآداب والعادات[4].

---

[1]. سورة سبأ: الآية 14.

[2]. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار السّاقي، ط04، 1422هـ/2001م، 313/12.

[3]. المرجع نفسه، 333/12.

[4]. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربية، بيروت، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، ط02، 1978م،181/1 .

ويروى أنّ الشّياطين كانت تسترق السّمع فتلقيه إلى الكهنة فتزيد فيه ما تزيده فيقبله الكفّار منهم، وقد أورد المفسّرون أحاديث عديدة فيها تفصيلات عن استراق الشّياطين للسمع وإيصال الأخبار إلى السّحرة والكهّان لم ترد في كتب الأحاديث الصّحيحة، ولكنّها متساوقة مع ما جاء في آيات سورة الجنّ، منها حديث عن ابن عباس قال:"تصعد الشّياطين أفواجا تسرق السّمع فينفرد المارد منها فيعلو فيرمي بالشّهاب فيصيب جبهته، أو جنبه حيث يشاء الله منه فيلتهب ويأتي أصحابه وهو يلهبُ، فيقول: إنّه كان من الأمر كذا وكذا فيذهب أولئك إلى إخوانهم من الكهنة فيزيدون عليه أضعافه من الكذب فيخبرونهم به، فإذا رأوا شيئا ممّا قالوا قد كان صدّقوهم بما جاءوهم من الكذب[1].

وكان للكهان أسلوب خاص في كلامهم عند التّنبّؤ والتكهّن هو أسلوب السّجع، ولذلك عرف بـ"سجع الكهّان" وقد امتاز سجعهم هذا باستعمال الكلام الغامض، والتّعابير العامّة الغامضة التي يمكن تفسيرها تفاسير متناقضة ومختلفة، وهو أسلوب تقتضيه طبيعة التّكهّن، لكي لا يلزم الكاهن على ما يقوله من قول ربّما لا يقع، أو قد يقع العكس، ففي مثل هذه الحالة، يمكن أن يكون للكاهن مخرج باستعماله هذا النّوع من الكلام، وقد ورد أنّ رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)** نهى عن محاكاة الكهّان في مجمعهم فذكر عنه قوله:"أسجع كسجع الجاهلية"[2] وقد ألف "الكهان" النّطق بالسّجع حتى غلب على كلامهم واختص بهم، كما اختصّ الشّعر بالشعراء، فعرف لذلك بـ"سجع الكهّان"، ولما قضى النّبي **(صلّى الله عليه وسلّم)** في جنين امرأة ضربتها الأخرى، فسقط ميتا بغرّة على عاقلة الضّاربة، قال رجل منهم:كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل ومثل دمه يطل، قال عليه الصّلاة والسّلام:"أسجع كسجع الكهّان"، وروى الحديث على هذه الصّورة:"اقتتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر، فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)** فقضى دية جنينها غرة عبد أو وليدة، وقضى بديّة المرأة عاقلتها وورثها ولدها ومن معهم، فقال **(حمل ابن النّابغة الهذلي)**:يا رسول الله كيف أغرم ديّة من لا

[1]. أبو جعفر الطّبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق:أحمد محمّد شاكر، مؤسّسة الرّسالة ط01، 1420هـ، 2000م، ص:78/17.

[2]. النّسائي، السّنن الكبرى، بيروت، 1421هـ، 2001م، ص:363/6.

شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهَلَ، فمثل ذلك يطل فقال رسول الله (**صلّى الله عليه وسلّم**): إنّما هذا من إخوان الكهّان من أجل سجعه الذي سجع "[1].

وزعم أنّ سطيحا جسد ملقى لا جوارح له، ولا يقدر على الجلوس؛ إلّا إذا غضب انتفخ فجلس، وكان شق إنسان، له يد واحدة ورجل واحدة، وعين واحدة، وولد سطيح وشق في اليوم الذي ماتت فيه "طريفة" الكاهنة امرأة "عمرو بن عامر" وهي بنت الخير الحميرية، ودعت بسطيح قبل أن تموت، فأتيت به، فتفلت في فيه وأخبرت إنّه سيخلفها في علمها وكهانتها، وكان وجهه في صدره، ولم يكن له رأس ولا عنق، ودعت بشق ففعلت به ما فعلت لسطيح، ثمّ ماتت وقبرها بالجحفة[2]. ولم تكن الكهانة مقصورة على الرّجال، بل نجد بجانب الكهنة الكاهنات كذلك، ومن أشهر الكاهنات (طريفة الكاهنة)، وكانت باليمن و(فاطمة الخثعمية) وكانت بمكة، و(الزّرقاء بنت زهير)، و(زبراء) كاهنة بني رئام، و(الشّعثاء)، و(الكاهنة السّعدية)، و(الزّرقاء بنت زهير)، و(الكاهنة ذي الخلصة) ويقال أنّ (زبراء) أنذرت قومها "غارة" عليهم، فقالت:"واللّوح الخافق واللّيل الغاسق، والصّبح الشّارق، والنّجم الطّارق، والمزن الوادق، إنّ شجر الوادي ليأدو ختلا، ويحرق أنيابا عصلا، وإنّ صخر الملود لينذر ثكلا، ولا تجدون عنه معلا" ومن المؤكّد أنّ الكهّان كانوا يسجعون في كلامهم بمقل هذا السّجع بدليل أنّهم لما سمعوا القرآن ظنّوه من هذا القبيل، فردّ الله زعمهم بقوله تعالى: "**فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ**"[3] وقوله تعالى: "**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ، وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ** "[4].

---

[1]. صحيح مسلم، المسند الصّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، بيروت، ص:1309/3.

[2]. عبد الله بن أحمد السّهيلي، الرّوض الأنف في شرح السّيرة النّبوية لابن هشام، بيروت، دار إحياء التّراث، ط01، 1421هـ، 2000، 67/1 .

[3]. سورة الطّور، الآية: 29.

[4]. سورة الحاقّة، الآية: 42/41.

فلمّا بعث النّبي (**صلّى الله عليه وسلّم**) وحرست السّماء بطلت الكهانة بالقرآن الذي فرّق الله به بين الحقّ والباطل، وأطلع الله نبيّه (**صلّى الله عليه وسلّم**) بالوحي على ما يشاء من علم الغيوب التي عجزت الكهانة عن الإحاطة به وأغناه بالتّنزيل وأزهق أباطيل الكهانة[1]. فالكهنة قبل المبعث كانوا كثيرا، وأمّا بعد المبعث فإنّهم قلّوا لأنّ الله حرس السّماء بالشّهب، وضعت الجنّ والشّياطين من استراق السّمع وإلقائه إلى الكهنة، فبطل علم الكهانة، وأزهق الله أباطيل الكهان بالفرقان الذي فرّق الله عزّ وجل به بين الحقّ والباطل، وأطلع الله سبحانه وتعالى نبيّه (**صلّى الله عليه وسلّم**) بالوحي على ما شاء من علم الغيوب التي عجزت الكهنة عن الإحاطة به، فلا كهانة اليوم بحمد الله ومنّه وإغنائه بالتّنزيل عنها، وأكثر ما يقع في هذه الأمّة ما يخبر به الجنّ مواليهم من الإنس عن الأشياء الغائبة ممّا يقع في الأرض من الأخبار فيظنّ الجاهل كشفا وكرامة، وقد اغترّ بذلك كثير من النّاس يظنّون ذلك المخبر لهم عن الجنّ ولي الله وهو من أولياء الشّياطين[2]. وفي الحديث: "من أتى كاهنا أو عرّافا فسأله عن شيء، فصدّقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما"[3].

ويبدو أنّ منزلة الكهّان في الجاهلية كانت كبيرة، إذ كانوا يعتقدون أنّه يوحى إليهم، ولعلّ ذلك ما جعل نفوذ الكاهن يتجاوز قبيلته إلى كثير من القبائل التي تجاورها، ومن ثمّ كان العرب يقصدون كثيرون منهم من مناطق بعيدة، وممّا يلاحظ أنّهم كانوا يكثرون في اليمن ، وفي بيوت عبادتها الوثنية، وخاصّة من يتعمّقون في القدم، لعلّ في ذلك ما يدلّ على الصّلة القديمة بين وثنية عرب الجنوب وعرب الشّمال[4].

---

[1]. محمّد عزة دروزة، التّفسير الحديث، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ج03، 1383، ص:11.

[2]. عبد الرّحمن بن سليمان التّميمي، التّوحيد وقرّة عيون الموحّدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، ت: بشير محمّد عيون، م ع السّعودية، مكتبة دار البيان، ط:01، 1411هـ، 1990م، ص: 140.

[3]. محي الدّين أبو زكريا بن شرف النّووي الشّافعي، رياض الصّالحين، ت: عبد الله أحمد أبو زينة، بيروت، لبنان، دار القلم، 1970، ص: 475.

[4]. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، القاهرة، دار المعارف، بمصر، ص:421/420.

وكان العرب في الجاهلية يلجؤون إلى الكهان في كلّ شئونهم، وقد يتّخذونهم حكّاما في خصوماتهم ومنافراتهم على نحو ما كان من منافرة (هاشم بن عبد مناف)، و(أمية بن عبد شمس) واحتكامهما إلى الكاهن الخزاعي، وقد نفّر (هاشما) على (أمية)، فكانوا يستشيرونهم ويصدرون عن آرائهم في كثير من شئونهم؛ كوفاء زوجة أو قتل رجل أو نحر ناقة، أو قعود عن نصرة أحلاف أو نهوض لحرب[1].

وقد أشير إلى قول الكاهن في القرآن الكريم في آية: "**فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ**"[2]. و" **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (41) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ** "[3] فقد زعموا أنّه كاهن، وزعموا أنّه مجنون، فوبّخوا لزعمهم هذا، وقيل لهم:"إنّ محمّدا ليس بكاهن، فتقولوا هو من سجع الكهّان" كانت قريش يدّعون أنّهم أهل النّهى والأحلام، فقال الله أم تأمرهم أحلامهم بهذا أن يعبدوا أصناما بكما صمّا، ويتركوا عبادة الله، فلم تنفعهم أحلامهم، حيث كانت لدنياهم" فانزعجوا منه وقالوا عنه أنّه كاهن، وأنّه شاعر، وأنّه مجنون، وفي اتّهامهم الرّسول بأنّه كاهن، وبأنّ القرآن هو من سجع الكهّان؛ دلالة على وجود السّجع عند الجاهلين، وأنّه كان من نمط الكلام الذي اختصّوا به، فلا مجال إذا للشكّ في وجود السّجع عندهم[4].

ومن كهّانهم المشهورين (شق بن الصّعب)، و(سطيح بن ربيعة الذّئبي) رسمت لكلّ واحد منهما صورة من نسيج الخيال ، فـ(شق) كان شطر إنسان له عين واحدة، ويد واحدة، ورجل واحدة، أمّا (سطيح) فلم يكن فيه عظم سوى جمجمته، ولم يكن له عنق وكان وجهه في صدره[5].

---

[1]. المرجع نفسه،ص: 420.

[2]. سورة الطّور، الآية: 29.

[3]. سورة الحاقة، الآيات: 42/40.

[4]. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ج"08، ص: 741.

[5]. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، القاهرة، دار المعارف، بمصر، ص: 421.

ونجد إلى جانب هؤلاء الكهّان، جماعة من الكاهنات، وربّما كنّ في الأصل من النّساء اللّاتي يهبن أنفسهنّ للآلهة، ومعابدها، فمن أشهرهن: (الشّعثاء)، و(كاهنة ذي الخلصة)، و(الكاهنة السّعدية)، و(الزّرقاء بنت زهير)، و(الغيطلة القرشية)، و(زبراء) كاهنة بني رئام، ويروى أنّها أنذرتهم "غارة" عليهم، فقالت:"واللّوحُ الخافقُ واللّيلُ الغاسقُ، والصّبحُ الشّارقُ، والنّجمُ الطّارقُ، والمزنُ الوادقُ، إنّ شجر الوادي ليأدو خَتْلًا، ويحرق أنيابا عصلا، وإنّ صخر الملود لينذر نكلا، ولا تجدون عنه معلا"[1].

كما كانوا يقسمون بالله، والهواء، والشّفق، والأنواء، والسّماء، والأرض، والماء وغيرها من ظواهر الطّبيعة، ولهذه الأمور وأمثالها معاني عميقة عند أهل الجاهلية[2]، ونلاحظ أنّ الكهّان لم يكونوا يسجعون فحسب، بل كانوا يعمدون أيضا إلى ألفاظ غامضة مبهمة، حتى يتركوا فسحة لدى السّامعين كي يؤول كلّ منهم ما يسمعه حسب فهمه وظروفه، ومن ثمّ دخل الرّمز في كثير من أقوالهم، إذ يومئون إلى ما يريدون إيماء، وقلّما صرّحوا أو وضّحوا، بل دائما يأتون المعاني من بعيد، فكان تنبؤهم يقوم على الإبهام والوهم واختيار الألفاظ التي تخدم السّامع وجوها من الخدع[3].

الكهانة في القرآن الكريم والسّنة النّبوية:

لقد وردت كلمة "كاهن" في القرآن الكريم في معرض الرّدّ على قريش الذين اتّهموا الرّسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** بأنّه "كاهن"وأنّه يقول القرآن على نمط سجع الكهّان، فجاء فيه " **فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ**"[4]، فردّ عليهم بقوله:"ما هذا القرآن بقول شاعر، لأنّ محمّدا لا يحسن قول الشّعر، فتقولوا هو شعر، قليلا ما تؤمنون، يقول تصدّقون قليلا به أنتم، وذلك خطاب من الله لمشركي قريش، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون، يقول ولا هو بقول كاهن، لأنّ محمّدا ليس

[1]. المرجع نفسه، ص: 421.

[2]. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ، جامعة بغداد، ج:08، ص: 745.

[3]. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، القاهرة، دار المعارف، بمصر، ص: 423.

[4]. سورة الطّور، الآية: 29.

بكاهن، فقولوا هو من سجع الكهّان" [1]. وقال الإمام (أحمد): حدّثنا ابن المغيرة، حدّثنا صفوان، حدّثنا شريح بن عبيد الله قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)** قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ: " **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ**"[2]، قال: فقلت: كاهن، قال: فقرأ:" **وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (42) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (43) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (48)** " في آخر السّورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كلّ موقع، فيعتبر هذا سبب من الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثّرة في هداية **(عمر بن الخطاب)**.

أنّ المقتسمين: قوم اقتسموا القرآن، فقال بعضهم: سحر، وقال بعضهم: شعر، وقال بعضهم: كذب، وقال بعضهم: أساطير الأوّلين، وقيل: الاقتسام هو أنّهم فرقوا القول في رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)** فقالوا: ساحر كاهن شاعر، وقال مقاتل، كانوا ستّة عشر رجلا بعضهم **(الوليد بن المغيرة)** أيام الموسم فاقتسموا أعقاب مكّة وأطرافها، وقعدوا على أنقابها، يقولون لمن جاء من الحجّاج: لا تفتروا بهذا الرّجل الخارج الذي يدّعي النّبوّة منّا، وتقول طائفة منهم: إنّه مجنون، وطائفة إنّه كاهن، وطائفة إنّه شاعر والوليد قاعد على باب المسجد نصّبوه حكما، فإذا سئل عنه قال:صدق أولئك يعني المقتسمين، وقوله: عضين، قيل: هو جمع عضو مأخوذ من قولهم عضّيت الشّيء تعضية، إذا فرّقته ومعناه أنّهم جعلوا القرآن أعضاء، فقال بعضهم: سحر، وقال بعضهم كهانة[3]. وفي قوله تعالى:" **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ**

---

[1]. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار السّاقي، ط:04، 1422هـ، 2001م، 313/12.

[2]. سورة الحاقة، الآية: 41/40.

[3]. الفرّاء البغوي الشّافعي، معالم التّنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرّزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التّراث العربي، ط:01، 1420هـ، ص: 67/3.

كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ"[1] روى جمهور المفسّرين أنّ (الوليد بن المغيرة المخزومي) سمع من القرآن ما أعجبه ومدحه، ثمّ سمع كذلك مرارا حتّى كاد أن يقارب الإسلام، ودخل إلى (أبي بكر الصّديق) مرارا، فجاءه (أبو جهل) فقال:يا (وليد) أشعرت أنّ قريشا قد ذمّتك بدخولك إلى (ابن أبي قحافة)، وزعمت أنّك إنّما تقصد أن تأكل طعامه، فقد أبغضك لمقاربتك أمر(محمّد)، وما يخلّصك عندهم إلّا أن تقول في هذا الكلام قولا يرضيهم، ففتنه (أبو جهل) فافتتن، وقال: افعل ذلك ثمّ فكّر فيها عسى أن يقول في القرآن، فقال: أقول شعر ما هو بشعر، أقول تقبيح لحاله أيّ أنّه ممّن يستحقّ ذلك، وروي عن (الزّهري) وجماعة غيره أنّ (الوليد) حاجّ (أبا جهل) وجماعة من قريش في أمر القرآن، وقال:والله إنّ له لحلاوة، وإنّ أصله لغدق، وإنّ فرعه لحياة، وإنّه ليحطّم ما تحته، وإنّه ليعلو ولا يعلى، ونحو هذا من الكلام فخالفوه، فقالوا له: هو شعر، فقال: والله ما هو بشعر، ولقد عرفنا الشّعر هزجه وبسيطه، قالوا: فهو كاهن، قال: والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان وزمزمتهم، قالوا: هو مجنون، قال: والله ما هو بمجنون، ولقد رأينا المجنون وخنقه، قالوا: هو سحر، أمّا هذا فيشبه أنّه سحر، ويقول أقوال نفسه[2].

وأخرج (**الطّبراني**) في الأوسط عن (جابر) قال: "اجتمعت قريش في دار النّدوة، فذكروا النّبي (**صلّى الله عليه وسلّم**)، فقال بعضهم: ساحر، قالوا: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، قالوا: ليس بكاهن وقال بعضهم: مجنون، قالوا: ليس بمجنون، قالوا يفرّق بين الحبيب وحبيبه، فصدر المشركون على ذلك، فبلغ النّبي (**صلّى الله عليه وسلّم**)، فزُمِّل في ثيابه، ودُثِّر، فأنزل الله عزّ وجلّ: "**يا أيّها المزمل**"[3] ، "**يا أيّها المدّثر**"[4] وقيل: اجتمع (أبو لهب)،و(أبو سفيان)، و(الوليد بن المغيرة)، و(النّصر بن

---

[1]. سورة المدّثر، الآية: 26/11.

[2]. ابن عطية الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافعي محمّد، ج05، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:01، 1422هـ، ص: 394 .

[3]. سورة المزمل، الآية:01.

[4]. سورة المدّثر، الآية:01، أبو القاسم الطّبراني، المعجم الأوسط، تحقيق:طارق بن عوض الله بن محمّد عبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، ج02، القاهرة، دار الحرمين، ص: 319.

الحرث)، و(أمية بن خلف)، و(العاص بن وائل)، و(مطعم بن عدي) وقالوا:" قد اجتمعت وفود العرب في أيام الحجّ، وهم يتساءلون عن أمر محمّد، وقد اختلفتم في الإخبار عنه، فمن قائل يقول مجنون، وآخر يقول كاهن، وآخر يقول شاعر، وتعلم العرب أنّ هذا كلّه لا يجتمع في رجل واحد، فسمّوا محمّدا باسم واحد يجتمعون عليه، تسمّيه العرب به، فقام منهم رجل فقال: شاعر، فقال (الوليد)، سمعت كلام (ابن الأبرص)، و(أميّة ابن أبي الصّلت)، وما يشبه كلام محمّد كلام واحد منهما، فقالوا: كاهن، فقال: الكاهن يصدق ويكذب، وما كذب محمّد، فقام آخر فقال: مجنون، فقال (الوليد): المجنون يخنق النّاس، وما خنق محمّد قط، وانصرف الوليد إلى بيته، فقالوا صبأ (الوليد بن المغيرة)، فدخل عليه (أبو جهل)، وقال: مالك يا (أبا عبد شمس)! هذه قريش تجمع لك شيئا يعطونكه، زعموا أنّك احتجت، وصبأت ، فقال (الوليد): مالي إلى ذلك حاجة، ولكنّي فكّرت في محمّد، فقلت: ما يكون من التّاجر؟ فقيل:يُفَرَّقُ بين الأب وابنه، وبين الأخ وأخيه، وبين المرأة وزوجها، فقلت: إنّه ساحر، شاع هذا في النّاس، وصاحوا يقولون: إنّ محمّدا ساحرٌ، ورجع رسول الله (**صلّى الله عليه وسلّم**) إلى بيته محزونا فتدثّر بقطيفة، ونزلت"**يا أيّها المدّثر**"[1] وقيل في تفسير قوله تعالى: "فهم في أمر مريج"[2] أي: مختلط، يقولون مرة ساحر، ومرّة شاعر، ومرّة كاهن.

وقال (ابن عبّاس) في سبب نزول قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ**"[3].

كان (أبو بردة الأسلمي) كاهنا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه بغية التّكهّن، فتنافر إليه جمع من أناسٍ (أَسْلَمَ)، فأنزل الله تعالى في قوله:"**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ**"إلى قوله:"**قَوْلًا بَلِيغًا**"[4]، وعن (قتادة) قال: "قد بلغنا أنّ هذه الآية نزلت في رجلين اثنين كان أحدهما من اليهود والآخر من الأنصار يدعى (قسٌ)، ولقد كان ذلك في مدارأةٍ كانت بينهما في حقّ تدارءا فيه، فهما

[1]. سورة المدّثر، الآية:01" أبو القاسم الطّبراني، المعجم الأوسط، تحقيق:طارق بن عوض الله بن محمّد ، ج02، القاهرة، دار الحرمين، باب الألف ، ص: 319/20.

[2]. سورة النّساء، الآية:60.

[3]. سورة النّساء، الآية:61.

[4]. سورة النّساء، الآية:62.

إلى كاهن ليحكم بينهما في هذا الحقّ وتركا نبيّ الله (**صلّى الله عليه وسلّم**)، فعاب الله تعالى ذلك عليهما، بحيث أنّ اليهودي قد كان يدعو الأنصاري إلى النّبي (**صلّى الله عليه وسلّم**) غير أنّه أبى واستعصى، وزعم على أنّه مسلم ليدعوه إلى الكاهن، فأنزل الله تعالى الآية، وعاب على الذي يزعم أن مُسْلِمٌ، وعلى اليهودي الذي هو من أهل الكتاب، فقال تعالى في ذلك:"**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ**" إلى قوله: "**يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا**"[1] ، وعن (الشّعبي) قال:"كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومةٌ، فدعا اليهوديُّ المنافق إلى النّبي (**صلّى الله عليه وسلّم**) لأنّه لا يقبل الرّشوة في أحكامهم، فلمّا اختلفا اجتمعا على أن يُحَكِّمَا كاهنا في "جهينة" فأنزل الله تعالى في ذلك: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**" يعني المنافق "**وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ**" يعني اليهودي "**يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ**" إلى قوله:"**وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**"[2].

وقال المفسّرون:"خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكبا من اليهود إلى مكّة بعد وقفة أُحُدٍ ليحالفوا قريشا على رسول الله (**صلّى الله عليه وسلّم**)، فنزل (كعب) على (أبي سفيان)، ونزلت اليهود في دور قريش، فقال أهل مكّة: إنّكم أهل كتاب، ومحمّد صاحب كتاب، ولا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم، فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصّنمين، وآمن بهما فذلك قوله: "يؤمنون بالجبت والطّاغوت"[3].

وقيل الجبت والطّاغوت الكهنة والشّياطين، وقال (الشّعبي)، و(عطاء) و(مجاهد): الجبت السّحر، والطاغوت: الشّيطان والكاهن وكلّ رأس في الضّلال قد يكون واحدا[4]، يقول (وهب ابن منبه):"في مسألة لـ(جابر بن عبد الله) عن الطّواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها ؟ فقال:"ما هم إلّا كهنة قد كانوا يتعاملون مع الشّياطين في مختلف أمورهم، وكانوا يستشرون بها ووضعوا في كلّ حيّ

[1]. سورة النّساء، الآية:61.

[2]. سورة النّساء، الآية:65.

[3]. سورة النّساء، الآية:51. . .الواحدي، أسباب نزول القرآن، الدّمام، دار الإصلاح، ط:02، 1992م، ص:156.

[4]. إبن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر للطّبعة والنّشر، م:15، ص: 9. .

من الأحياء طاغوتا ففي "جهنة" واحدا وفيّ "أسلم"وفي "هلال" واحدا"[1]. وعن أصنام قريش قال (ابن عبّاس):"ولليهود صنمان يسجدون لهما طلبا لمرضاة قريش هم الجبت والطّاغوت"[2].

وعن (ابن عبّاس) عن نفر من الأنصار أنّ رسول الله (**صلّى الله عليه وسلّم**) قال لهم:" ما كنتم تقولون في هذا النّجم الذي يرمى به ؟" قالوا: كنّا يا رسول الله إنّا نقول حين رأيناها يرمى بها مات ملك، ولد مولود، مات مولود، قال رسول الله (**صلّى الله عليه وسلّم**) :" ليست ذلك كذلك، ولكن الله إذا قضى في خلقه أمرا يسمعه أهل العرش، فيسبّحوا من تحتهم بتسبيحهم، فيسبّح من تحت ذلك، فلم يزل التّسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السّماء الدّنيا فيتحدّثون، فيتحدّث به، فيسترقه الشّياطين بالسّمع على توهم منهم واختلافٍ، ثمّ يأتون به إلى الكهّان ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ حجب الشّياطين عن السّماء بهذه النّجوم، وانقطعت الكهنة اليوم فلا كهانة[3].

وعن (عامر الشّعبي)، عن (أبي رائطة بن كرامة المذحجي) قال:كنّا عند النّبي (**صلّى الله عليه وسلّم**) فقال:"القوم مفرى لا يصحبنّكم خلال من هذه النّعم؛ يعني الضّوال ولا يصحبنّ أحد منكم ضالة، ولا يردنّ سائلا، إن كنتم تريدون الرّبح والسّلامة، ولا يصحبنّكم من النّاس إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ساحر ولا ساحرة، ولا كاهن ولا كاهنة، ولا منجّم ولا منجّمة، ولا شاعر ولا شاعرة، وإنّ كلّ عذاب يريد الله أن يعذّب به أحدا من عباده؛ فإنّما يبعث به إلى السّماء الدّنيا فأنهاكم عن معصية الله شاء"[4].

وفي الصّحيح (عبد الله ابن الصامت) قال (أبو ذر):"خرجنا من قومنا (غفار) وكانوا يحلون الشّهر الحرام، فخرجت أنا وأخي (أنيس وآمنا)...إلى أن قال:"فانطلق أنيس حتى أتى مكّة، ثمّ جاء فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلا بمكّة على دينك يزعم أنّ الله أرسله، قلت:فما يقول النّاس؟

---

[1]. العسقلاني، صحيح البخاري فتح الباري، تحقيق: سعيد عبد الرّحمن موسى القزقي، بيروت، عمان، دار عمار، ط:01، 1405هـ، ص:101/10.

[2]. الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب، التّفسير الكبير، ج10، بيروت، دار إحياء التّراث العربي، ط:01، 1420هـ، ص:101.

[3]. البخاري: خلق أفعال العباد، تحقيق: عبد الرّحمن عميرة، الرّياض، دار المعارف السّعودية، ص:100.

[4]. الطّبراني، المعجم الكبير، ص:109.

قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، وكان أنيس أحد الشّعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشّعر، فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنّه شعر، والله إنّه لصادق، وإنّهم لكاذبون..."[1] وعن (عبد الله بن كعب)، عن (نافع الجرشي) أنّه قال:" هناك على جبل يقطن كاهنا عالما لجميع الأمور التي قد لا يكون لنا علما بها، فأحضروه لينظر لهم ويتكهّن عن أمر بعثه محمّد (**صلّى الله عليه وسلّم**)، فقال: "بعث الله عزّ وجلّ محمّدا عليه السّلام وأكرمه، واجتباه، وطهّر قلبه"[2].

وعن (محمّد بن كعب القرطبي) قال:"بينما (عمر بن الخطاب) ﷺ قاعدا في المسجد مرّ رجل في مؤخّرة المسجد، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أتعرف هذا المارّ؟ قال:لا، فمن هو؟ قال: هذا (سواد بن قارب) وهو رجل من أهل اليمن، له فيهم سرف وموضع، وهو الذي أتاه رئيه بظهور رسول الله (**صلّى الله عليه وسلّم**) فقال (عمر) ﷺ: عَلَيَّ به، فدعي له به، قال: أنت (سواد بن قارب)؟ قال: نعم، قال: فأنت الذي أتاك رئيك بظهور رسول الله (**صلّى الله عليه وسلّم**)؟ قال: نعم، قال: فأنت على ما كنت عليه من كهانتك، فغضب غضبا شديدا، وقال: يا أمير المؤمنين، ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت، فقال عمر: يا سبحان الله، والله ما كنّا عليه من الشّرك أعظم من كهانتك، أخبرني بإتيانك رئيك بظهور رسول الله (**صلّى الله عليه وسلّم**) ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، بينما أنا ذات ليلة بين النّائم واليقظان إذ أتاني رئيي فضربني برجله، وقال: قم يا (سواد بن قارب) فافهم واعقل إن كنت إنّه قد بُعث رسول من (لؤي بن غالب) يدعو إلى الله عزّ وجلّ، وإلى عبادته، ثمّ أنشأ يقول:

عَجِبتُ لِلجِنّ وتِجساسِها **** وشَدِّها العَيْسَة بأحلاسِها**

تَهوي إلى مكّةِ تبَغي الهُدى **** مَا خَيْرُ الجِنّ كَأنجاسِها**

فَارحَل إلى الصَّفوَةِ مِن **** هاشِمٍ واسْمُ بعينِكَ إلى رَأسِها**

[1]. صحيح مسلم، فضائل الصّحابة، باب من فضائل أبي ذر، ج04، رقم 2473، ص: 1920/1919.

[2]. ينظر ابن كثير، جامع المسانيد والسّنن الهادي لأقوم سنن، تحقيق: عبد الله بن عبد الله الدّهيش، ج08، بيروت، لبنان، دار خضر للطباعة والنّشر والتّوزيع، 1419هـ، 1998م، ص: 260.

قال: فلم أرفع لقوله رأسا، وقلت: دعني أنم، فإنّي أمسيت ناعسا، فلمّا أن كانت اللّيلة الثّانية أتاني فضربني برجله وقال: أقل لك يا (سواد بن قارب)، قم فافهم واعقل إن كنت تعقل، إنّه قد بعث رسول من (لؤي بن غالب) يدعو إلى الله عزّ وجلّ، وإلى عبادته، ثمّ أنشأ الجنّي:

عَجِبتُ لِلجِنّ وأَخبَارِها **** وشَدِّها العَيْسَ بأكوارِها**

تَهوى إلى مَكَّةِ تَبْغي الهُدى **** ما مُؤْمِنُ الجِنّ كَكُفَّارِهَا**

فارحلْ إلى الصَّفوَةِ من هَاشِم **** بين رِوايَتِها وأَحْجارِها**

فوقع في نفسي حبّ الإسلام، ورغبته فيه، فلمّا أصبحت شدّدت على راحلتي، فانطلقت متوجّها إلى مكّة، فلمّا كنت ببعض الطّرق أخبرت أنّ النّبي **(صلّى الله عليه وسلّم)** قد هاجر إلى المدينة، فأتيت المدينة فسألت عن النّبي عليه السّلام، فقيل لي: في المسجد، فانتهيت إلى المسجد فعلقت ناقتي، وإذا رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)** والنّاس حوله، فقلت: اسمع مقالتي يا رسول الله، فقال (أبو بكر) ﷺ :ادنه، دنه فلم يزل بي حتى صرت بين يديه، فقال: هات فأخبرني بإتيانك رئيّك، فقلت:

أَتاني نُجي بَعدَ عِدْءِ رَوْقَدَة **** وَلَمْ يَكُن فِيما قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِب**

ثَلاَثُ لَيالٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ **** أتَاكَ رَسُولٌ مِن لُؤَي بْنُ غَالِب**

شَمَّرتُ مِن ذَيْلِ الإِزَارِ وَوَسّطَتُ **** بِي الذَّعْلَب الوَجْنَاء بَين السَّباسِب**

فَأَشْهَدُ أَنَّ الله لاَ رَبَّ غَيْرَهُ **** وَأَنَّك مَأْمُونٌ عَلى كُلِّ عَائِب**

وَأَنَّكَ أَدْنى المُرْسَلِين وَسِيلَةً **** إلى الله يا ابْنَ الأَكْرَمينَ الأَطَايِب**

فَمُرْنَا بما يَأْتيكَ يا خَيْرَ مَن مَشَى **** وَإنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبَ الذَّوَائِب**

وَكُنْ لي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ **** سِواكَ بِمُغْنٍ عَن سَوَاد بْنُ قَارِب**

قال: ففرح رسول الله (ص) وأصحابه بإسلامي فرحا، حتى رؤي في وجودهم، قال: فوثب (عمر ﷺ إليه)، قد كنت أحبّ أن أسمع هذا منك.

الكهانة والنّبوة وما يتعلق بهما:

الكهانة والنّبوة:

تعدّ الدّليل على وجود استمرارية داخل الفكر العربي أكثر أو أقلّ سعيا إلى التّوقيف بين الكهانة والنّبوة، وثمّة انطباع قوي في الواقع بأنّ العرّاف المتمرّس والمتقن لصناعة كان بمقدوره أن يبلغ الدّرجة العليا التي بلغها النّبي وأصحاب الوحي، وسيكون بالوسع الذّهاب إلى حدّ الظّنّ بأنّ كلّ نبي كان عرّافا تقريبا قبل أن تتفتّح لديه ملكة إدراك الغيب، الذي يتمّ بواسطة، إلى إدراك من غير واسطة، والذي لن يكون شيئا آخر وفقا لتطوّره سوى النّبوة.

ويمتدّ ذلك بالتّحديد إلى المستوى النّظري، ذلك لأنّ دونية العرّاف عمليا بالقياس إلى الذين كانت جليّة باستمرار، ولقد عمل النّبي **(صلّى الله عليه وسلّم)** على توحيد الله تعالى بالعبادة والتّسبيح، وقصد التّقديس والإجلال، والتّعظيم له سبحانه وحده، فوحدانية الله تعالى لا هي وحدانية مطلقة، وعلى الأخصّ تكريس النّبي **(صلّى الله عليه وسلّم)** نفسه لهدف وحدانية الإله أو عبادة الإله الأوحد، أمّا العرّاف فقد ظلّ في خدمة الآلهة السّفلية، والأرواح الشريرة، أمّا النّقطة التي كانت تجمع بينهما فهي أنّ هذا وذاك كانا يلتمسان النّور والوحي من لدن الإله، وأنّ هذا وذاك كانا نجيين له[1].

فهذه الحقيقة التي كان على المسلمين الأوّلين وعلى رأسهم الرّسول الأكرم، محمّد بن عبد الله **(صلّى الله عليه وسلّم)** أن يصدع بها، ليظهر الحقّ ويزعق الباطل، فلقد وجد الرّسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** صعوبة عظيمة في إقناع قومه أنّه ليس بكاهن وليس بشاعر،[2] قوله:"**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وما بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**"[3] وكقوله أيضا: "**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ* ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي**

[1]. توفيق فهد، الكهانة العربية قبل الإسلام، بيروت، لبنان، شركة قدمس للنشر والتّوزيع، 2007، ص:68.

[2].ركب الحاج،دعوة الحق مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية و بشؤون الثقافة و الفكر،العدد119،السنة 1957

[3]. سورة الحاقّة، الآية: 40-43.

الْعَرْشِ مَكِينٍ* مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ* وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ* وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ* وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ"[1].

ويتلخص التّأكيد الثّابت للسنة في الإسلام في المبدأ القائل:"لا كهانة بعد النّبوة"، فحينما بعث النّبي غدا الكهنة محرومين من إمكانية إدراك أمور الغيب، إذ احتجبت هذه الأمور خلف سطوع نور النّبي **(صلّى الله عليه وسلّم)**، والواقع أنّنا نشهد هنا ثنائية النّبي الموحّد للإله والعرّاف المتعدّد الآلهة، وفي حين أنّ النّبي محمّد لاقى عنتا في إقناع قومه بأنّ عمله كان مختلفا أشدّ الاختلاف عن عمل العرّاف، فقد كان لا يعتمد على مناهج وطرائق العرّاف، لذلك كان من العسير على المستمعين إليه على الأقلّ أن يدركوا الرّوح الجديد الذي كان يلهمه، والذي كان يستند إليه كي يضفي على رسالته تفوّقها وتعاليها[2].

فمن صدّق كلام العرّاف، وكذّب النّبي فقد وقع في الكفر والعيّاذ بالله لما رواه (أبو هريرة)، و(الحسن) رضي الله عنهما عن النّبي **(صلّى الله عليه وسلّم)** قال:" من أتى كاهنا أو عرّاف فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمّد **(صلّى الله عليه وسلّم)** فهذا من محبطات الأعمال وتورد العبد المهالك"[3].

ولقد حرّم الله تعالى على المسلم الكذب والحديث عن أمور لا يعرفها أو لا يعلمها، وبين الله تعالى أنّ كلّ إنسان مسؤول أمام الله عن كلّ كلمة يقولها، وأنّ أعضاء جسمه أيضا مسؤولة عن كلّ قول وفعل، حيث يقول الله تعالى الآية 36 من سورة الإسراء "ولا تقف ما ليس لك به علم، إنّ السّمع والبصر كلّ أولئك كان عند الله مسؤولا"، وفي ذلك قال قتادة:" لا تقل سمعت ولم تسمع، ورأيت ولم تر، وعلمت ولم تعلم".

---

[1]. سورة التّكوير، الآية: 16-24

[2]. توفيق فهد، الكهانة العربية قبل الإسلام، بيروت، لبنان، شركة قدمس للنشر والتّوزيع، 2007، ص:69-68

[3]. مُحَمَّد بن إبراهيم النعيم،ملتقى الخطباء ،المملكة العربية السعودية،العدد15065،السنة،نيسان 1993.

ولقد فسّرت كتب التّفسير الآيتين الكريمتين (26-27) من سورة الجنّ حيث يقول الأستاذ محمّد علي الصّابوني في التفسير (صفوة التّفاسير):" أيّ هو جلّ وعلا عالم بما غاب عن الأبصار، وخفي عن الأنظار، فلا يطّلع على غيبه أحد من خلقه إلّا من ارتضى من رسول، أيّ إلّا من اختاره الله وارتضاه لرسالته ونبوّته، فيظهر الله لمن ارتضاه ما يشاء من الغيب" قال المفسّرون:" لا يطّلع الله على غيبه أحد إلّا بعض الرّسل، فإنّه يطلعهم على بعض الغيب، ليكون معجزة لهم، فإنّ الرّسل مؤيّدون بالمعجزات ومنها الإخبار عن بعض المغيّبات[1]. وأهم ما يمكننا معرفته حقّ المعرفة وإدراكه هو التّمييز الملحوظ في أسلوب الكلام السّامي عن اللّغة الشّائعة فقد تميّزت اللّغة النّبوية عن الكهانية، وذلك أنّ القرآن الكريم تحدّى العرب بلغتهم وفصاحتهم فبهتوا، وقالوا عنه: إنّه سحر يؤثر، لكن هذه المعجزة لم تقتصر على التّحدّي اللّغوي البياني، إنّما كانت المعجزة أعمّ وأكبر، بحيث تحدّت العصر الذي كان عليه العرب[2].

السّحر:

لقد ذكر السّحر في القرآن الكريم، ولذلك يعتبر حقيقة موجودة، قال تعالى: "**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**"[3] ففي هذه الآية نرى أنّ الله عزّ وجلّ عن من باعوا أنفسهم ونصيبهم في الجنّة وآثروا السّحر على ما ينفعهم من الإيمان.

---

[1]. حسن الباش، موقف الإسلام من السّحر والخرافة، دمشق، دار حصين للدراسات والنّشر والتّرجمة، ط:01، 1993م، ص:152.

[2]. عماد مجاهد، التّنجيم بين العلم والدّين والخرافة، عمان، دار الفارس للنشر والتوّزيع، ط:01، 1998م، ص:54.

[3]. سورة البقرة، الآية:102.

يقول (ابن عبّاس):" إنّ الشّياطين كانوا يسترقون السّمع من السّماء، فإذا سمع أحدهم بكلمة حقّ كذب معها ألف كذبة، فأشربتها قلوب النّاس واتّخذوها دواوين، فأطلع الله على ذلك سليمان بن داود، فأخذها فدفنها تحت كرسيّه، فلمّا مات سليمان قام شيطان بالطّريق، فقال: ألا أدلّكم على كنز سليمان الذي لا كنز لأحد مثل كنزه ؟ فقال: نعم، فأخرجوه فإذا هو سحر فتناسختها الأمم، وأنزل الله عذر سليمان فيما قالوا من السّحر"[1] وقال: "**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...**"[2]

ويعتبر السّحر من أقدم الممارسات والمعتقدات التي أقدم عليها الإنسان، وقد كان منتشرا بين عرب الجاهلية وله صلة وثيقة بين الكهانة والعرّافة.

وهو عبارة عن عقد ورقى وكلام يتكلّم به السّاحر، أو يكتبه أو يعمل شيئا يؤثّر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة، فمنه ما يقتل، وما يمرض، وما يأخذ الرّجل عن امرأته فيمنع وطأها، ومنه ما يفرّق بين المرأ وزوجه، وما يبغّض أحدهما إلى الآخر، أو يحبّب بين اثنين"[3].

ويعتبر أصل السّحر: في صرف الشّيء عن حقيقته إلى غيره، فكان السّاحر لما أرى الباطل في صورة الحقّ وخيّل الشّيء عن وجهه أي صرفه[4].

وقد استدلّ أهل العلم بأنّ السّحر حقيقة واقعية، ونفوا على أنّها مجرّد تخييل، وذلك بالإتيان بأدلّة من الكتاب والسّنة الصّحيحة كقول الله عزّ وجلّ في سورة البقرة: "**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ**

[1].خالد بن عبد الرّحمن الجريسي، الحذر من السّحر، المملكة العربية السّعودية، الرّياض، مؤسّسة الجريسي للتّوزيع والإعلام، ص: 13-14.

[2]. سورة البقرة، الآية:102.

[3]. ابن قدامة، المغني، دار إحياء التّراث العرب، ط:01، 1985م، مجلّد:08، ص: 150.

[4]. الجوهري إسماعيل ابن حماد، تاج اللّغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط:04، 1990م، مادّة سحر.

عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"[1] والسّحر الذي يؤثّر مرضا وثقلا وعقلا وحبّا وبعضا ونزيفا وغير ذلك من الآثار موجود، تعرفه عامّة النّاس وكثير منهم قد علمهم ذوقا بما أصيب به منه.

يقول (ابن خلدون) في مقدّمته في الفصل الثّاني والعشرين عن السّحر والطّلسمات:" وهي علوم بكيفية استعدادات تقتدر النّفوس البشرية بها على التّأثير في عالم العناصر، إمّا بغير معين أو بمعين[2].

من الأمور السّماوية والأولى هو السّحر، والثّاني هو الطّلسمات؛ يعني أنّ السّحر هو علم وطلسمات علم، وممّا يختصّان بمعرفة الكيفية التي من شأنها اقتدار النّفوس البشرية على التّأثيرات في العناصر، وتستعين بمعين من القوى الغيبية الميتافيزيقية تارة؛ وهذا ما يسمّى السّحر، وقد لا تستعين بقوى غيبية؛ وهذا ما يسمّى بعلم الطّلسمات"[3]. وقد ركّز القرآن الكريم على الحديث عن السّحر والسّحرة وأثرهما في ضرر النّاس، وما كان شائعا لديهم حوله، ومن خلال وقائع حياة العرب، بل والشّعوب جميعا ندرك السّحر أخذ دوره في حياتها بشكل كبير، وقد ربطوه بالعقائد الدّينية والمعتقدات الكثيرة المتنوّعة، لقد وردت كلمة السّحر ومشتقّاتها في القرآن الكريم ستين مرّة، وهذا إن دلّ فإنّه يدلّ على أنّ السّحر يلعب دوره بشكل مؤثّر في حياة النّاس قديمهم وحديثهم[4].

فقد خدعوا النّاس واسترهبوهم بوسائل السّحر وفنونه لعلّهم يستعلون عليهم ويستعبدونهم ويبرزون قوامهم، صدّقهم الجهلة فربطوا شؤون حياتهم بالسّحر، وتركوا العقيدة دون أن ينظروا إلى

---

[1]. سورة البقرة، الآية:102.

[2]. إبن القيّم، تفسير القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط:01، 1410، ص:571.

[3]. حسن الباش، موقف الإسلام من السّحر والخرافة، دمشق، دار حصين للدراسات والتّرجمة والنّشر ، دمشق، ط:01، 1993م، ص:96-95.

[4]. حسن الباش، موقف الإسلام من السّحر والخرافة،ص:95

جوهرها الذي يرفض الخداع واستعباد النّفوس والعقول، ويرفض القرآن السّحر، وكذلك السّنة الشّريفة لأنّ فيه ضررا ما بعده ضرر، فإن زعم السّاحر أنّه يشفي من الأمراض فإنّه يخلط الجهل بالدّواء، فبدل أن يشفي الجسد يزيد فيه داء ومرضا، وربطوا ما زعموا من سحر بربط الكواكب ومطالعها، وما علاقة كوكب لا حياة فيه بنفوس البشر، وربطوا السّحر بالشّياطين والجنّ، وليس لهما سلطان على بني البشر[1].

التّنجيم:

هو النّظر في الحركات الفلكية والاتّصالات الكوكبية لمعرفة أحكام النّجوم من اقتضاء حركاتها الوقائع الكونية أو الأمور الأرضية، فيكون الإخبار بذلك بعد النّظر في النّجوم[2].

ومن المحتمل أنّ الإنسان القديم نظر إلى النّجوم المتلألئة ليلا من السّماء، ففكّر بأنّها قد تكون مساكن الآلهة، أو هي الآلهة نفسها، وعليه فحين سادت تلك الثّقافة كانت جرثومة علم النّجوم تحيا وتؤمن بألوهية النّجوم، وممارستها تأثيرا سحريا مباشرا على العالم وسكّانه ممّا يستلزم تقديم فروض العبادة وواجبات الطّاعة لها، كما أنّ الإعجاب اللّازم للجنس الإنساني بتلك النّجوم والأجرام السّماوية مع الفضول في كشف الحجاب الذي يخبئ أحداث المستقبل، قد ساهم بشكل فعّال في علم التّنجيم.

إضافة إلى ذلك كانت العرب تتّبع طقوسا غريبة في كثير من المناسبات، فإذا خرج أحدهم للسّفر ورأى أحد الطّيور قد طار باتّجاه اليمين من أمامه، فيعتبر ذلك فالا حسنا، ويقول: الطّير سائحة ويكمل سيره أمّا إذا كان الطّير يتّجه جهة اليّسار، يعود المسافر إلى قبيلته معتبرا ذلك فالا سيء قائلا: الطّير بارحة[3].

عرّفة (ابن خلدون) بأنّه:" ما يزعمه أصحاب هذه الصّناعة من أنّهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولّدات العنصرية مفردة

---

[1]. حسن الباش، موقف الإسلام من السّحر والخرافة، المرجع السابق، ص:11.

[2]. عماد مجاهد، التّنجيم بين العلم والدّين والخرافة، عمان، دار الفارس للنشر والتوّزيع، ط:01، 1998م، ص:28.

[3]. عبود قرة، علم التّنجيم أسراره وأوهامه، دمشق، سوريا، دار علاء الدّين للنشر والتّوزيع، ط:01، 2000م، ص: 12

ومجتمعة تكون لذلك أوضاع الأفلاك و الكواكب دالّة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلّية والشّخصية[1].

أمّا عندما نتمعّن في الآيات الكريمة التي وردت في مختلف سور القرآن الكريم، سنلاحظ بكلّ وضوح أنّ معظم الآيات التي تضمّ إشارات علمية، تتحدّث عن التّفكّر في خلق الكون الواسع وما فيه من أجرام سماوية تدلّ على عظمة الخالق عزّ وجلّ الذي أوجد هذا الكون الهائل الاتّساع والعظيم الاتّزان والذي لازالت الألغاز تحيط به من كلّ جانب أمام عقل الإنسان الذي رغم جبروته يجد نفسه متواضعا أمام روعة الكون.[2]

ومن الآيات الكريمة العديدة التي قد نجدها تدعو الإنسان إلى التّفكير المحظ في الكون وما فيه من أجرام:"**قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**"[3].

"**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**"[4].

"**نَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ**"[5].

ويقولون حسب ما جاء في مقدّمة (ابن خلدون) إنّه إذا دخل العام الجديد يوم الأحد فإنّ الدّخول يكون للشمس وبرجها القوس، وطالعها المشتري، وذلك يدلّ على جور السّلطان وظلم الأمراء ونيّات الحكّام واستطالة الخدّام والأعوان، ووخم وأمراض وقلّة أمطار ويكون هم عظيم، أمّا الأرض فإنّها تخضع لكثرة الحرارة والسّموم، ويقع موت كثير للناس، وإن دخلت السّنة يوم الاثنين فإنّ الدّخول يكون للقمر وطالعه برج السّرطان، ويدلّ على عدل السّلطان وإصلاح الأمراء والحكّام

[1]. إبن هشام، السّيرة النّبوية، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط:02، 1375هـ، 1955م، 34/1.

[2]. عماد مجاهد، التّنجيم بين العلم والدّين والخرافة، عمان، دار الفارس للنشر والتوّزيع، ط:01، 1998م، ص:49.

[3]. سورة يونس، الآية:101.

[4]. سورة فصلت، الآية:53.

[5]. سورة فاطر، الآية:04.

وهدوء الخدم واستقامة الرّعية، وكثرة الأمطار، وصلاح الزّراعة، ورخص القمح والحبوب، ويقع حرب في الأرض، وقال عظيم، ويكون الحرّ شديدا، ويكثر الوباء والموت[1].

وفي مجال آخر فإنّ بعض المنجّمين يلجأ إلى الحساب والرّياضيات مع الأخذ بعين الاعتبار النّجوم والطّوالع، ومنها مثلا حساب اسم الإنسان، والنّظر فيما له من البروج والكواكب، ثمّ حساب اسم الأم، فإن خرج برقم 12 وزاد رقم واحد فإنّه يكون شخصا ناريا، وإن زاد رقمان فهو ترابي يتبع الزّهرة، وإن زاد ثلاثة أرقام فنجمه الجوزاء، وطالعه عطارد وهو هوائي، وإن بقي أربعة أرقام فنجمه المرّيخ فهو مائي، وعلى شاكلة ذلك يحسبون بالأرقام وبطونها بالنّجوم ولا يفهمها سواهم[2]. ومن هذا يمكننا القول بأنّ الكثير من النّاس يؤمنون بما يقوله أصحاب صنعة التّنجيم، والأغراب من ذلك أنّهم يستشيرونهم في أمور الزّواج وما إلى ذلك، بحيث يحدّدون اسم الفتاة أو الشّاب، وذلك ليعرفوا ما إذا كان يتناسب الشّاب مع الفتاة، وكثيرا ما يدّعي هؤلاء المنجّمون أنّ هذه الفتاة لا تتوافق مع الشّاب لأنّ برجها على النّقيض مع برجه، وفي حال زواجهما من بعض وحدثت مشكلة عادية بينهما فإنّهم يردّون ذلك إلى ما قاله ذلك المنجّم عن عدم توافقهما أو توافق برجيهما.

وكثيرا ما تنعكس هذه الاعتقادات على الحياة الاجتماعية دون أدنى نظر إلى ما يقوله الشّرع الإسلامي في هذا الشّأن، وتؤدّي بذلك إلى نتائج سلبية وآثار ليست محمودة على العلاقات الأسرية والزّوجية[3].

[1]. حسن الباش، موقف الإسلام من السّحر والخرافة، دمشق، دار حصين للدراسات والتّرجمة والنّشر ، دمشق، ط:01، 1993م، ص:127.

[2]. حسن الباش، موقف الإسلام من السّحر والخرافة، المرجع السابق، ص: 129-128.

[3]. المرجع نفسه، ص:129.

الفصـــل الثانـــي

الأسطورة والأسطورة العقائدية

تعتبر الأساطير المصدر التاريخي الأهم، لحقبة زمنية كانت خالية تماما من أي مصادر مكتوبة، كما كانت خالية من كل شكل من أشكال الكتابة. لذلك كانت الأساطير موجودة عند الشعوب كلّها؛ وكانت هي نفسها تاريخ الشعوب، ولكن ليس تاريخها العادي، بل تاريخها المقدس. وكانت الأساطير وحدها التي تمثل أهمية كبرى؛ لأن الآلهة أنتجتها في الأزمنة الغابرة، وعندما انتهى العصر البدائي (عصر ما قبل الكتابة) انتقلت المجتمعات البشرية إلى الحضارات الزراعية القديمة، ولكن الأساطير لم تندثر تبعا لذلك ولم تستبدل بها المؤلفات التاريخية.

لقد بقي كثير منها يواصل تناقله عبر الأجيال، وإن في صيغة مختلفة، لكن ليس للأسطورة زمن: أي نها لا تقصه عن حدث جرى في الماضي وانتهى؛ بل عن حدث ذي حضور دائم.

وعندما لا يكون للأسطورة هذا الطابع الدوري المتكرر الواضح، فإن مضمون الأسطورة يعبر عن حقيقة أزلية لا يطاولها تغيير؛ فأسطورة خلق الإنسان من تربة الأرض ممزوجة بدم إله قتيل، هي تأسيس لفكرة الطبيعة المزدوجة للإنسان وتكوينه من عنصر مادي وآخر سماوي مقدس.

لقد وصلت إلينا هذه الأساطير وغيرها. ولعل كل من قرأها تساءل عن كنه ما جاء فيها من حقائق؟

لقد انشغل بهذه المسألة حتى الآن أكثر من جيل من العلماء وكان كل جيل قد عرض فهمه عن الأساطير التي تعد واحدة من أكثر ظاهرات الثقافة الإنسانية تعقيدا. وطرح كل جيل نظريته أو نظرياته، فتشكل نتيجة لذلك كم هائل من التأويلات.

ولكن مهما تنوعت الأساليب التي طرحها العلماء لفهم الأساطير، فإن مواقفهم تختلف اختلافا جوهريا عن مواقف القدماء الذين عاشوا في عالم الأساطير بصفته عالمهم الأم.

لقد آمن هؤلاء الأقدمون بالأسطورة ولم يدرسوها، ولم يروا فيها اختلاقا، أو وهما أو غباء. إنما كانت بالنسبة لهم واقعا حقيقا لا يدانيه أي واقع آخر، وعلى منواله سارت حياتهم كلّها.

فبمساعدة الأساطير بالذات اختبر هؤلاء العالم المحيط بهم، وحاولوا أن يفهموا كنهه ويعبروا عنه بالكلمة، والصوت، والرسوم والنحت وسوى ذلك من الوسائل التي توفرت لهم.

ولم ير القدماء في الأساطير اختلاقا وهميا، أو سخافات خيالية منافية للعقل، وقد أشار العالم الروسي: أ.ف لوسيف في كتابه: (فلسفة الأسطورة) إلى: «أن الأسطورة عملية وحيوية، ولا تعد اختلاقا وهميا، بل مستوى ضروريا من مستويات الوعي والواقع، ونتاجا حسيا وشيئيا للواقع».

ولم تساور أذهان القدماء أسئلتنا في أي يوم من الأيام: ما الحقيقة، وما الاختلاق في الأساطير؟ لقد آمنوا بصحة الأسطورة إيمانا مطلقا لا تحده حدود، وكل ما روته الأساطير كان بالنسبة إليهم حقيقة كاملة مطلقة، ولم يأت إيمانهم هذا لكونهم أغبياء؛ ونحن أكثر ذكاء منهم؛ بل لأن الأساطير كانت ترسم لهم السبيل التي يجب عليهم أن يسلكوها بصفتها تحتوي على مستوى إلزامي وضروري للاستقامة . كما لم يطرح في الزمن القديم سؤال عمن أنشأ الأساطير.

لقد كان الاعتقاد السائد: أن الأسلاف نقلوا الأساطير إلى الأجيال اللاحقة، وأن الأسلاف أنفسهم تلقوها من الآلهة. ومعنى هذا أن الأساطير مصدرها لاهوتي مقدس، وأنه ينبغي على الناس أن يحافظوا عليها في ذاكرة الأجيال، دون أن يحاولوا تغييرها أو إضافة أي جديد عليها، وكانت الآلهة بالنسبة لتلك المجتمعات كائنات واقعية بواقع الجماعة، ولذلك لم تظهر لديهم أي دوافع للشك في هذه الحقيقة.

لقد تراكمت في القصص الأسطورية تجارب ومعارف عدة أجيال كثيرة، ومعتقداتها، وطقوسها.ولكن لا نستطيع أن ندعو القصص والحكايات القديمة كلها أساطير.

فالأساطير تحظى بمكانة مبجلة ونصوصها مقدسة؛ إذْ يحظر عرضها بصراحة شديدة في غير المكان والزمان المناسبين، وعلاوة على ذلك تحمل الأساطير في غالب الأحيان طابعا تفسيريا، فهي تروي قصص نشوء شيء من الأشياء أو الظواهر، مع تحديد الشكل والصورة للأشياء، ومع ذلك

ليس كل ما خلفه الإنسان الأول فيما يتعلق بحياته ونظامه ومعارفه، وتفاصيل سجلاته اليومية وغيرها يعد من الأساطير، وليس كل مدون أسطورة؛ لذلك سوف يتوجه التركيز في هذه الدراسة على الأسطورة الدينية وهي تلك المدونات التي تناولت موضوع الكون، والخلق، والإنسان الأول، والتطور المعرفي، وأساليب التعلم.

المبحث الأول: تحديد المفاهيم (الأسطورة،الدين،الأسطورة الدينية)

1-مفهوم الأسطورة:

الأسطورة هي مجموعة من الأفكار والمعتقدات الشبيهة بالقصص انتقلت بين الأجيال قبل نشر الإسلام، فكانت الأسطورة سبيلا للتعبير عن الحياة والطبيعة، وانتهجت نحو موضوعات مختلفة وقصدت أهدافا معينة تلك الأهداف التي تكون في إطار عمل قصصي موسيقي، ولكته في مجمله كان كثيرًا ما يجه إلى عبرة وعظة ومن أشهر الأساطير: أسطورة العنقاء وملحمة جلجامش وأسطورة أدونيس وغيرها من الأساطير التي تشكل واختلفت صياغتها، وأنه أنها شيء من الخيال، إلا أنه ثمة شيء رائع يشد المتلقي في قراءها، وفي هذا المقال سيتم تعريف الأسطورة لغة واصطلاحا.

أ- لغة:الأسطورة في اللغة من أصل سطر وهي بمعنى تقسيم وتصفيف الأشياء، فالأسطورة تعني الكلام المسطور المصفوف، ولا يشترط فيها أن تكون مدونة أو مكتوبة، ولكن بالضرورة هي الكلام المنظوم سطر وراء سطر فتظهر مصفوفة كقصائد الشعر ما يسهل حفظها وتداولها ويحافظ على بنيانها و على كلماتها، وعلى ذلك يقول المعاندون للقرآن "ما هذا إلا أساطير" ولم يروا الأساطير مكتوبة وإن معظمهم ليس لهم علم بتدوينها بل هو علم تناقلوه شفويا بسطورها المحفوظة والكلمة العربية الأصل وجذرها من الفعل الثلاثي سطر، وباعتبار أن لكل كلمة مشتقة في العربية جانبين: الأول مادتها والثاني صيغتها أو وزنها فمادة كلمة "أسطورة" تقوم على جذر يدل على المعنى العام الذي يجمع بين سائر المشتقات، أما وزنها فمن أوزان لغتنا العربية، فأسطورة على وزن "أفعولة" كأحدوثة وألعوبة وغيرها، وجمعها أساطير على وزن "أفاعيل" كأحاديث وألاعيب.

مشتقة (من الفعل سطر وزن مفردها أفعولة و جمعها أفاعيل ومعنى فعلها سطر أي قسم وصنف الأشياء أو الكلام نطقا وكتابة[1].

وفي محيط المحيط لبطرس البستاني:(أي ألف وسطر فلان اي أتانا بالأسطر ومنها السطر الذي يعني الخط والكتابة ومنها أسطر وسطور و هو الصنف من الشيء)[2].

فالأسطورة عند البستاني هي النظام و هي الصنف على عكس ما جاء به ابن منظور في لسان العرب تحت مادة سطر:(و الأساطير الأباطيل، والأساطير:أحاديث لا نظام لها، واحدتها أسطار واسطارة، بالكسر(...)وأسطور وأسطورة، بالضم(...)، الليث:يقال سطر فلان علينا يسطر اذ جاء بأحاديث الباطل.

يقال:هو يسطر ما لا أصل له أي يؤلف، و في حديث الحسن سأله الأشعث عن شيء من القرآن فقال له:والله وإنك ما تسيطر علي بشيء أي ما تروج[3]**يقال**:(سطر فلان على فلان اد زخرف له الأقاويل ونمقها، وتلك الأقاويل الأساطير والسطر...)[4].

و نجد في تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدي اتفاق تام مع ما جاء به ابن منظور في لسان العرب حيث قال:(الأساطير هي الأباطيل التي لا أساس لها من الصحة اد يعتبرها من ضروب الكذب.إذ يقول في قاموسه تحت مادة سطر:"والأساطير"الأباطيل=الأكاذيب والأحاديث لا نظام لها(...)يقال سطر فلان علينا إذ جاء بأحاديث تشبه الباطل،يقال هو يسطر ما لا أصل له أي يؤلف[5]وكذلك تعني (الأقاويل المنمقة و المزخرفة)[6].ومن خلال شرح المعاجم العربية لكلمة أسطورة

[1] الأسطورة توثيق حضاري، قسم الدراسات والبحوث، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، مملكة البحرين،ط1، 2005، ص16

[2] بطرس البستاني، محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، ط، 1977،ص 410

[3] الأسطورة في شعر بدر شاكر السياب، التموزيات، أنموذج مذكرة شهادة ماستر في اللغة العربية وآدابها، 2017-2018، ص24

[4] إبن منظور لسان العرب، المحيط دار لسان العرب، بيروت، ط خياط، د.ت.ج2، ص 143

[5] مُحَمَّد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار المكتبة، بيروت، م3، د.ت، ص267

[6] المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، ط2، 1975،ص332-333.

نجدها تصب جميعها في معنى الأباطيل والأحاديث المنمقة التي لا نظام وصحة لها،على خلاف البستاني الذي عدها من السطر والنظام والصنف.

ب– اصطلاحا: الأسطورة هي إحدى الشرائح الجذرية للطرز على وزن أقليات، ومن معلومات علم الأساطير آنها تعد من التراث القديم الذي يعبر عن نتاجات الأولين وأفكارهم وانعكاس تعليم القوى الربانية لهم، إذا فالأسطورة هي القصة الشعرية المصفوفة زجلا أو شعرا، بحيث تحوي موضوع دينا يتعلق بالقوي العلوية والخفية وتعبر عن معارف الإنسان الأول وأخلاقه ومستويات علومه وتأملاته، وهي موضوعة في قالب ذي إيقاع شعري موسيقي يتضمن الحدث المراد تأريخه سواء كان من صنع الإنسان أو الطبيعة أو الرب ، لأجل أن يتلى ويتداول ويؤدي دوره في تثقيف العقول وتحريك المشاعر[1].

والأسطورة بالاتينية legenda أشياء يجب أن تقرأ حكاية تقليدية تروي أحداث خارقة للعادة، أو تتحدث عن اعمال الالهة والأبطال[2]، وهي تعبر عن معتقدات الشعوب في عهودها البدائية، و تمثل تصورها لظواهر الطبيعة والغيبيات.حيث تعد الأسطورة ظاهرة فنية تركت بصمتها في عديد من الدراسات المعرفية، وغالبية المجتمعات لها أساطير محلية واخرى قومية، وعليه فقد اختلف المؤرخون والباحثون في تحديد مفهوم موحد للأسطورة لما فيها من غموض وضبابية، فهي تدخل ضمن المفاهيم المستعصية على التحديد، مما جعلها مفهوما متغيرا من معجم لاخر، حيث تتعلق معظم الأساطير القديمة بالآلهة، وهذه الآلهة التي كانت تتمتع بتعدادها واختصاصها بالطبيعة، فكانت الآلهة في الأسطورة تتمتع بقوى خارقة لكنها بالمقابل كانت تنساق وراء العواطف كالحب، وكانوا يمرون بالتجارب الإنسانية كالولادة والموت، كانت الأساطير مجرد خرافات وتخيلات وأوهام لتفسير أحداث كونية ، ولم تكن تستند إلا إلى الظن ، ولكن الأسطورة بالنسبة للقارئ الآن هي ليست مجرد قصص بل أصبحت وثائق تنقل لنا العادات القديمة المختلفة وطرق الحياة المتعددة.

[1] مؤلفون عرب(2009) الأسطورة توثيق حضاري (الطبعة الأول) دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر ص 21-26 .

[2] thes.bucf.firenze.sbr.it معلومات عن الأسطورة على موقع

قسمت موضوعات الأساطير إلى مجموعتين هما: **أساطير الخلق وأساطير التعليل**، يقصد بأساطير الخلق هي التي تحاول أن تدخل بموضوعات الكون وتفسر خلق البشر وظهور الآلهة، أما الأساطير التعليلة فإنها تهدف لتفسير الظواهر الطبيعية، فتعلقت موضوعات هذه الأساطير بمسائل الموت والحياة والشمس والبحر والطبيعة جلها وتداخل الخير والشر في حبكتها[1].

2-مفهوم الديـن:

أ- الدين لغـة:

الدين: بالكسر: العادة والشأن ودانه، يدينه، دينا بالكسر أذله واستعبده، فدانه وفي الحديث (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت).

والدين: أيضا الجزاء والمكافأة: يقال دان يدينه دينا أي جزاه، يقال كما تدين تدان كما تجزي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت. وقوله تعالى: «أنا لمدينون» أيها أعمل محاسبو، ومنه صفة الديان في صفة الله تعالى . والمدين العبد. والمدينة: الأمة كأنهما أذلهما العمل.

والدين: أيضا الطاعة نقول: دان له يدين دينا أي أطاعه ومنه الدين.

(مختار الصحاح ، باب الدال).

الدين: جمعه الأديان، والدين: الجزاء كقولك دان الله العباد بدينهم يوم القيامة أي يجزيهم (العين- باب الدال والنون).

وفي التحقيق اللغوي لكلمة الدين نجده يعني:

أ-الحاكمية والسلطة العليا.

ب- الطاعة والإذعان، الحاكمية.

ج-النظام الفكري والعملي المتكون تحت سلطان تلك الحاكمية.

[1] أسطورة marefag اطلع عليه بتاريخ 02-12-2019 بتصرف

الجزء المترتب عن الطاعة أو عدمها [1]».

ب- اصطلاحا:

إن الدين من الظواهر التي يصعب وضع مدلول محدد لها، يرجع ذلك إلى الاعتبارات:

- «صعوبة شمول تعريف للدين على الطريق الإنسانية، رغم اختلاف ظروفها.

- عدم الاتفاق على العلماء على ماهية الدين البدائي، التفرقة بينه وبينه من الأديان، شكل صعوبة وضع تحديد للدين.

- هذا إضافة إلى ظاهرة الدين تناولها كثير من العلماء في مختلف التخصصات[2] ».

لذلك نجد أن كل عالم قدم تعريفا بحسب تخصصه.

1-تعاريف الأنثروبولوجيين:

تايلور: الدين هو الاعتقاد بوجود كائنات روحية[3].

«ماكس مولر: الدين: هو محاولة التعبير عما يمكن تصوره والتطلع إلى الله لكماله المطلق اللانهائي.

فريزر: الدين: هو الاعتقاد في قوة غيبية غير مشخصة.

رفيل: الدين: هو توجيه الإنسان لسلوكه، وفقا لشعوره بالصلة بين روحه وبين روح خفية، يعترف لها بالسلطان وعلى سائر الكائنات الأخرى ويحاول أن يكون على صلة دائمة بها [4].

[1] زعير مراديمي ، النظرية العلمانية برؤية إسلامية ، رسالة دكتوراه 1997 ، ص 228

[2] .سامية الخشاب ، دراسات في الاجتماع الديني ، الكتاب الأول ، دار المعارف ، الطبعة الأولى 1988 ، ص 21

[3] المرجع نفسه، ص .2

[4] نبيل محمّد توفيق السمالوطي ، الدين والبناء الإجتماعي ، الجزء الثاني ، دار الشروق لعنشر والوزالوام ، لعنشر والوزالوام 1401 هـ -1981 م.ص ص 24، 25 .

2-تعريفات الفلاسفة:

«الدين عند كانت: هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة أوامر إلهية سامية

تعريف شاتيل: الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق.

هاربرت سبانسر:تعبر الأديان عن افتناع ضمني بأن وجود العالم بما فيه وبما يحيط به، يعتبر هذا الرأي غامضا يتعذر تفسيره.

3-تعريفات علماء الاجتماع:

أحمد الخشاب: يرى أن الدين هو مجموعة من الظواهر الإعتقادية والعملية التي تتصل بالعالم المقدس أو تنظيم سلوك الإنسان حيال هذا العالم [1]»

الدين عند ملثون بنجر: «هو نسق من المعتقدات والممارسات التي بواسطتها تكافح جماعة أفريقية المشكلات المطلقة للحياة الإنسانية[2] »

«**أما دور كايم:** فالدين عنده عبارة عن نسق موحد ومتكامل يشتمل على العقائد والممارسات المؤسسة بالأشياء المقدسة، تلك العقاد والممارسات تمارس في مجتمع صغير أخلاقي يسمى الكنيسة.

دور كايم ينظر إلى الدين على انه نسق مركب من الأساطير والعقائد أو المذاهب والطقوس والشعائر. ويتكون من قسمين:

العقائد: وهي عبارة عن حالات فكرية أو تصورات ذهنية.

والعبادات: وهي طرق عملية للسلوك، يقوم بها الإنسان حيال الأشياء المقدسة[3] »

وجاء في قاموس علم الاجتماع:

[1] مرد زعيمي، نظريات علم الإجتماع الديني.، مجموعة محاضرات للدراسات العليا ، 2006 م ، 2007

[2] سامية الخشاب ، دراسات في الإجتماع الديني ، الكتاب الأول ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، 1988 ، ص 24

[3].مُحَمَّد الخطيب ، الأثنولوجيا ، دراسة عن دراسة بدائية ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع ، ص 25

الأديان: «هي انساق للمعتقدات والممارسات».

والمعتقدات الدينية: هي تفسيرات أو تأويلات للخبرة المباشرة بالرجوع إلى البناء المطلق للعالم، وإلى القوة فوق الطبيعية التي تسيطر على الكون وظواهره.

والممارسات: تتمثل في سلوك الدين، وهو سلوك مقدس، وطقوس تفرض على الشخص ممارسات مقننة تحدد علاقة الشخص بالقوة العليا[1]

ما يلاحظ على هذه التعريفات:

إن كل هذه التعريفات للدين تعبر عن عقائد أصحابها واتجاهاتهم لذلك أهملوا المصدر الرباني (الوحي) للدين. وكلها تشترك في أن الدين عناصر ثلاثة عناصر: عقائد، شعائر وطقوس، عادات وتقاليد وأعراف.

الأسطورة الدينية:

يعرفها زكي أحمد بدوي:«بأنها المعتقدات المشبعة أو المحملة بالقيم والمبادئ التي يعتنقها الناس، ويعيشون بها أو من أجلها[2]»

فكل مجتمع يرتبط بنسق من الأساطير، يعبر عن التصورات الفكرية المعقدة التي تتضمن في الوقت نفسه كل نواحي النشاط الإنساني.

ويعرفها فراس السواح: «الأسطورة الدينية: هي التي ترتبط بنظام ديني معين، وتتشابك مع معتقدات ذلك النظام وطقوسه المؤسسة، وهي تفقد كل مقوماتها كأسطورة إذا انهار النظام الذي

[1] محمد عاطف غيث ، قاموس علم الإجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، ص 382

[2] زكي أحمد بدوي، معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية إنجليزي، فرنسي، عربي، بيروت، مكتبة لبنان، الطبعة الجديد، مادة أسطورة، ص244 .

تنتمي إليه وتتحول إلى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الأدبية الشبيهة بالأسطورة؛ مثل الحكاية الخرافية والقصة البطولية، وقد تنحل بعض عناصرها في الحكاية الشعبية[1]»

أما مفهومنا:

«الأسطورة الدينية تعني نظام التصورات التي تخلق الأفكار التي تتحول إلى دستور يهتدي بها الإنسان في حياته الاجتماعية».

[1] فراس السواح، دين الإنسان، دار العلاء للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، الطبعة الثانية، ص58

المبحث الثاني: الأسطورة عند(العرب، في القرآن الكريم، الغرب)

1-عند العرب:

لقد تعددت تعاريف الأسطورة وتنوعت عند الأدباء العرب إذ نجد فئات تجتمع تحت مفهوم واحد لها وفئات أخرى تختلف فيها بينها، ولهذا سنحاول الإحاطة بمختلف التعاريف التي أوردها الباحثون العرب حول مفهوم الأسطورة ولبندأ **بأحمد كمال زكي** ونظرته للأساطير حيث قال عنها أنها علم قديم أي من العلوم الأولى وأن الأسطورة ترتبط ببداية الانسان[1] مما يعني أنها تابعة من الواقع، وهو قديم قدم الانسان على وجه البطيحة وفي نفس الرأي يؤيده **أحمد عثمان** فيقول الأسطورة ليست محض أكذوبة إذ فيها شيء من الحقيقة، وبالفعل أثبتت الدراسات العلمية التاريخية والأثرية، أن الكثير من الأساطير تنبع من حقائق فعلية وقعت في زمن سحيق أو غير معروف، وحفظها العقل البدائي بمنهجه الأسطوري في التفكير فأضاف إليها ما أضاف وحذف ما لم يستطع استيعابه، وبالغ كلما استهوته الحكاية وهكذا تضخمت الرنوش واختفت أو تخفت للحقيقة نفسها وصلتنا أحداث تاريخية قديمة كأساطير تروى للتسلية والامتاع[2] لذلك فالأساطير ليست مجرد خيال وأوهام وإنما هي حقائق لها جذور ممتدة تمثل الموروث الفكري والحضاري لكل أمة من الأمم.

وهي في نظر **عبد الحميد يونس** واقع ثقافي جد معقد، ويقول معرفا إياها من العسير أن نضع تعريفا للأسطورة يجتمع عليه رأي العلماء المختصين ذلك لأن الأسطورة واقع ثقافي ممعن في التعقيد تختلف حوله وجهات النظر وحسبنا أن نورد هذا الوصف الذي يتسم بالشمول وهو أن الأسطورة تروي حدثا مقدسا، وتسرد حدثا وقع في عصور ممعنة في القدم، عصور خرافية تستوعب

[1] احمد كمال زكي، الأساطير، ص 44 .

[2] مجلة القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب العربي، القاهرة، ط1، 1968، ص19.

بداية الخليقة،[1] فهي ترتبط بالواقع في أولوياته وعلاقتها به علاقة وطيدة حيث يمثل لها الواقع بؤرة انتشار لتصل إلى ما هي عليه اليوم، وتحتل قدسيهة الأمم.

فتلك هي النقطة المهمة في العالم الأسطوري، تقديس الآلهة في واقع ثقافي قديم لتصبح الأسطورة رواية أفعال إله أو شبه إله لتفسير علاقة الإنسان بالكون أو بنظام إجتماعي بذاتة أو عرف بعينة أو بئية لها خصائص تنفرد بها [2]أو هي مظهر لمحاولات الإنسان الأولى كي ينظم تجربة حياته في وجود غامض حفي إلى نوع ما من النظام المعترف به [3].

فمن خلال هذه التعاريف يمكن اعتبار الأسطورة مظهر من مظاهر نظام الإنسان البدائي الذي أثابت حياته الشكوك والغموض، وأصبحت الأسطورة تمثل منهج مثالي تستقيم به الحياة، وتعرف نظام للعيش للهروب من واقع غير مناسب، وخلق روح مناسبة للعيش الهني في اعتقادهم.

فعملية الخلق تلك هي تجاوز للواقع بأجنحة الخيال للتخلص من سطوته وتتحول من محكومة إلى حاكمة، فهي تمثل مكمن القوة رفقة للخيال الذي ينقلها من عالم الظلام إلى عالم النور ففي أحد التعاريف عن **مجدي وهبة، وكمال المهندس** نجد توافقا في عد الأسطورة myth legend قصة خرافية يسودها الخيال، وتبرز فيها قوى الطبيعة في صور حية ذات شخصية ممتازة ويبنى عليها الأدب الشعبي، تستخدم في عرض مذهب أو فكرة عرضا شعريا قصصيا(...) والأسطورة بهذين المعنيين سرد لا يتفق عناصره مع الحقيقة الملموسة، إلا أنها محاولة لتفسير ...النظم الكونية كما تبدو الإنسانية[4].

[1] عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 1968، ص 19

[2] صالح نضال، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، د.ط، ص 12

[3] المرجع نفسه، ص 12

[4] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت،ط.1، 79، ص 21.

ويرى أيضا **مجدي وهبي** أن "معني الأسطورة توسع ليشمل الخرافة، أي مجرد القصة الكاذبة التي لا يقبلها العقل، وليشمل أيضا ذلك التشويه الخيالي لشخصية حقيقية ماثلة في أذهان الناس بإطراد من أمثال الساسة ونجوم السينما أو الرياضة، فينسب الناس العاديون لها صفات خارقة للعادة هي في الواقع بمثابة تعويض مما يشعرون به من تفاهة أو ذلة"[1].

ومن خلال ما سبق يمكننا أن نقدم تعريفا للأسطورة :"فهي القصة أو الحكاية التي تحتوي مبتدعات الخيال والتقاليد الشعبية والتي تهدف إلى جلاء حقيقة الحياة أو تغيير ثوابت الواقع، أو إعطاء تفسير خيالي ميتافيزيقي"[2]

والتعريف نفسه يتطابق مع **فراس السواح** حين قال عن الأسطورة بأنها" هي حكاية مقدسة، ذات مضمون عميق يشق عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان"[3].فكلاهما يحمل تعبيرا عن الواقع والحياة، من منطلق الخيال لتكوين أسطورة تهتم بالتقاليد الشعبية والأشياء المقدسة التي تمثل جوهر الأسطورة، والمحور الأساسي الذي تدور حوله الأسطورة هو الاهتمام بالإنسان وبكل حيثياته الكبرى وحتى الصغرى البسيطة.

أما **جبور عبد النور** فيرى في الأسطورة تشويه للأحداث التاريخية فيعرفها قائلا"سرد قصصي للأحداث التاريخية تعمد إليه المخيلة الشعبية، فتبتدع الحكايات الدينية والقومية والفلسفية لثير انتباه الجمهور والأسطورة تعتمد عادة تقاليد العامة وأحاديثهم، فتتخذ منها عنصرا أوليا ينمو مع الزمن بإضافات جديدة حسب الرواة والبلدان فتصبح غنية بالأخيلة والأحداث والعقد"[4]فهي من صنع

[1] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،مكتبة لبنان، بيروت،ط.1، 79، ص 21.

[2] خليل شكري مياس،فاعلية الذاكرة في الكتابة الشعرية مجلة الموفق الأدبي، العدد 33 آدار، ص 48.

[3] فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دراسات في الميتولوجيات والديانات المشرقية، دار علاء للدين للنشر والتوزيع والترجمة،دمشق،ط.2، 2001،ص 14.

[4] المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط.1، آدار مارس 1979، ص 19

خيال الشاعر الذي هو مدرك لمعاناة شعبه، حيث يغوص في أحلامة ويحاول إثارته إذ يصنع أساطير تتماشى مع معتقداتهم لترسخ مع مرور الزمن وتصبح من الفلكلور المحلي والمورث الثقافي الشعبي.

فإذا كانت الأسطورة سرد مشوها للأحداث التاريخية فإنها رغم تشويهها لهذه الأحداث لاتزال تحمل شيئا من الحقيقة، باعتبار أنها تستخدم كأداة في التمثيل المسرحي، وفي هذا النحو يقول **أنيس فريحة** "ليس بمستبعد أن تكون هذه الملاحم والأساطير أصلا، تمثيليات فصلية " seasonal drama "والواقع أن ملحمة "**مولد السحر والفسق**" أو " **مولد الآلهة الجميلة الوسيمة**" هي تمثيلية، لأن التعليمات التي تصدر فيها للجوقة وللممثلين تشير بوضوح إلى أن تمثيلا على المسرح كان يرافق موسم تلاوتها الجماعية، نعم إن ما وصلنا من هذه الملاحم والأساطير ناقص ومشوه وفي أحيان كثيرة غامض المعنى وغامض الإشارة ولكن معالمها، وخطوطها الرئيسية تشير بوضوح إلى أنها كانت يوما تمثيلات فصلية تمثل أو تتلى في اجتماعات عامة"[1] فكثير من الشعراء والأدباء حاولوا أن يتخذوا من الأساطير مادة للتلميح فهذا الشاعر **سعيد عقل** استخدم الأسطورة في مسرحية الشعرية "**قدموس**" التي تحكي قصة حب بين " **زوش**" كبير الآلهة اليوناني وبين " **آروب**" ابنة ملك صور.

وقد قدم **فراس السواح** اختلافا بين النص الأسطوري والنصوص الأخرى، ومن الاختلافات والمعايير التي حددها **فراس السواح** وقسمها فيما يأتي :

– من حيث الشكل، الأسطورة هي قصة بما تحويه من حبكة وعقدة وشخصيات مصاغة في قالب شعري يساعد على سرعة تداولها وحفظها ويزودها بأثر على العواطف والقلوب.

– يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن، وتتناقله الأجيال طالما حافظ على طاقته الإيجابية بالنسبة إلى الجماعة دون أن يعني ذلك الجمود والتحجر، فالفكر الأسطوري قادر على خلق أساطير جديدة أو تجديد الأساطير نفسها أو تعديلها .

[1] أنيس فريحة، ملاحم وأساطير من أوغاريت"وأس الشمرا" منشورات الجامعة الأمريكية، بيروت، ط1، 1966، ص 93

-تتميز موضوعات الأساطير بالجدية والشمولية مثل مواضيع التكوين والأصول والموت والعالم الآخر ومعنى الحياة وسر الوجود، و هي تشترك في موضوعاتها مع الفلسفة إلا أن الفلسفة تلجأ إلى المحاكمة العقلية للمفاهيم والعلوم بينما تلجأ الأساطير إلى الخيال والعاطفة والترميز.

-تبعث الأسطورة رسالة غير زمنية وغير مرتبطة بفترة ما، بل إنها رسالة سرمدية خالدة تنطق من وراء تقلبات الزمن الإنساني تجعلها أكثر صدقا وحقيقة عن المؤمن بها من أي مضامين تاريخية أو روائيةأخرى.

وبذلك فإن تعريف الأسطورة لغة واصطلاحا يمثل ملخصا للمفاهيم والأفكار المعبر عنها بالكتابات والرسوم المتداولة، وترتبط الأسطورة ببداية الحياة على الأرض، إذ ابتدعت الأساطير للتعبير عن الأفكار والعقائد والأخلاق والنظرة إلى الكون والحياة والإنسان .

ومن خلال هذا يمكننا أن نخلص إلى تعريف الأسطورة بأنها: القصة الممتدة بجذورها في عمق التراث، بحيث تحوي موضوعات دينية مقدسة، وتعبر عن معارف الإنسان البدائي إذ نجدها تهتم كذلك بموضوعات الحياة والموت، الخير والشر وكل ما يستحوذ عقل الإنسان، فهي تعرضه بوحي من الخيال وكم من العواطف، وهي امتداد من زمن الماضي إلى زمن الحاضر لسلطتها على عقول ونفوس البشر.

2-الأسطورة في القرآن الكريم:

وجب علينا الإشارة إلى الأسطورة في القرآن الكريم بعد تعريفها عند العرب، فقد وردت لفظة أساطير الأولين فيه بتسع مرات في سورة النحل الاية 24 يقول تعالى"**وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** (24)[1]".

[1] سورة النحل، الاية 24

أساطير الأولين: أي كذب اختلقها مُحَمَّد على الله، وما وهو إلا من قصص الأولين التي يتناقلها الناس جيلا بعد جيل، منها الصدق ومنها الكذب، فقالوا هذه المقالة ودعوا أتباعهم إليها وحملوا وزرهم،ووزر من انقاد لهم يوم القيامة[1]وورودها أيضا في سورة الأنعام الأية 25 في قوله تعالى" **وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** (25)

"[2] "أي ومن هولاء المشركين قوم يحملهم بعض الأوقات، بعض الدواعي إلى الاستماع لما تقول، ولكنه استماع خال من قصد الحق واتباعه ولهذا الا ينتفعون بذلك الاستماع لعدم إرادتهم للخير "[3].

فقد تحدثت هذه الآيات عن توحيد الله عبر دلائل آياته في خلقه والرسول يذكرهم بالحقيقة كاملة، حقيقة الوجود وغاياته بدلائل عقلية وشواهد وآثار يرونها حولهم، أما الذين كفروا فقد أغلقوا على أنفسهم منافذ التفكير على الرغم من استعراض السورة لسلسلة من الأدلة العقلية في موضوعات مختلفة تؤدي حتما عند المتأمل العاقل للإيمان بالله وتوحيده وفق منطق البرهان العقلي .

و في سورة الأنفال الاية 31 قوله تعالى" **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**"(31)

"[4] فهذا القول الصادر من هذا القائل مجرد دعوة كذبه الواقع وقد علم أنه ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا رحل ليدرس من أخبار الأولين، فأتى بهذا الكتاب الجليل الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.[5]

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، مُحَمَّد بن صالح العثيمين، تح: عبد الرحمن بن محلي اللويحيق، دار بن حزم بيروت، لبنان، ط1، 1424-2013، ص 413

[2] سورة الأنعام، الاية 25

[3] المرجع السابق، ص 231

[4] سورة الأنفال، الاية 31

[5] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 297

والمعروف عن الأسطورة أنها أكذوبة، ففي هذه الآية الكريمة يتحدث الله عز وجل عن الكافرين بعد تلاوة مُحَمَّد لآيات الله عليهم التي قالوا عنها أنها أساطير الأولين أي أكاذيب وأخبار الأمم السابقة، وفي سورة المؤمنين الاية 83 قوله عز وجل " **لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**[1]" أي بل سلك هؤلاء المكذبون مسلك الأولين من المكذبين بالبعث واستبعدوه غاية الاستبعاد.[2]

وفي هذه الاية كذلك ورد معنى أساطير الأولين بمعنى الأكاذيب والخرافات التي لا حقيقة لها فالمشركون اعترفوا بأن التوحيد والبعث والوعود الإلهية الموجود في أساطير الأولين ولكنهم لا يأبهون بها ويعدونها من قبيل الخرافات فقد أعرضت عن الرد عليه لأنها كاذبة وخالفت وجه الحقيقة.

ووردت أيضا في سورة الفرقان الاية 05 في قوله تعالى" **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5)** "[3] وقال الكافرون بالله، الذي أوجب لهم كفرهم أن قالوا في القرأن والرسول إن هذا القرآن كذب كذبه مُحَمَّد وإفك افتراه على الله، وأعانه على ذلك قوم آخر"[4].

والمقصود هنا أن القرآن الكريم هو مجرد استنساخ لأكاذيب الأولين وإعادة كتابتها برأي المشركين الذين زعموا أن كتاب الله يحمل أساطير أمم سابقة في اعتقاد المشركين .

وقد ذكرت أيضا في سورة الأحقاف الاية 17 في قوله تعالى"**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** (17) " [5] "أي منقول من كتب المتقدمين ليست من عند الله ولا ما أوحاه أوحاه الله لرسوله"[6].

---

[1] سورة المؤمنين، الاية 83

[2] المرجع السابق، ص 529

[3] سورة الفرقان، الاية 05

[4] المرجع السابق، ص 447

[5] سورة الأحقاف، الاية 68

[6] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 748

هذه الآية تحمل معنى الولد العاق لوالديه بعد نصحهما له، وعدم إيمانه بالبعث بعد الموت فيقول عدو الله عن البعث بأنه أسطورة أولين لا صدق فيها.

وفي سورتي القلم الاية 15 وسورة المطفيفين، الاية 13 نجد الآية نفسها تكررت بالحرف في قوله عز وجل "**إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** (15)"[1]سورة القلم"الذين كذبوك وعاندوا الحق ."[2] " أي ترهات المتقدمين وأخبار الأمم الغابرين"[3] وهنا المتلو عليه هو الكافر الذي لا يصدق بأيات الله عز وجل.

فبعد عرض الآيات التي وجدت فيها الأسطورة نجدها قد وردت كلها بصيغة الجمع "أساطير" ومصحوبة بكلمة "أولين" فقد كانت" أساطير الأولين" العنصر المشترك في جميع الآيات المذكورة سلفا، أحيانا كانت تسبقها أداة الاستثناء"إلا" التي تفهم من سياق الآية بأنها جاءت للاستهزاء، ما هي إلا أساطير لا قيمة لها .

ومما سبق نجد أن جميع الآيات وردت على لسان الكافرين لدعوة الحق ولم ترد على لسان غيرهم من أهل الكتاب، فقد أنكروا ما جاء به نبينا مُحَمَّد -ﷺ- وبقوا مصرين على أن دين مُحَمَّد هو مجرد خرافات بعيدة في الزمن .إذن كل هذه الآيات تفسر الأسطورة على أنها الأكذوبة والخرافة التي لا صدق فيه

3-عند الغرب:

نظرا لكثرة الأدباء والدارسين لفن الأسطورة نجد تعددا في تعريفاتها حيث حدد كل دارس على حدى مفهوما اصطلاحيا خاصا بها-حول الأسطورة-والسياقات التي جعلت فيها الأسطورة متعددة، ونظرا لأهميتها نجد كما هائلا من التعريفات، إذ يرى **جيمس فريزر(james frazer)**صاحب الكتاب الشهير"**الغصن الذهبي**"القائل بأن(الأسطورة نشأت علما بدائيا يهدف

[1] سورة القلم، الاية 15وسورة المطففين، الاية 13

[2] المرجع السابق، ص 841

[3] المرجع نفسه، ص 875

إلى تفسير الحياة والطبيعة والإنسان وانها متأخرة عن الطقوس)حيث عدها وسيلة للعيش بعيدا عن كونها طقسا[1] دينيا.

وقد صاغ أبو الأنثروبولوجيا الإجتماعية البريطانية **مالينوفسكي(malinowsky** 1884-1942)نظرية له مفادها أن دور الأساطير عند تلك الشعوب لا يتمثل في تفسير الظواهر الطبعية أو في الإجابة عن فضول علمي أو فلسفي أو غيره بقدر ما يتمثل في إرساء دعائم المعتقدات والممارسات المشكلة لأسس التنظيم الإجتماعي، يقول في هذا الشأن:(في المجتمعات البدائية،تضطلع الأسطورة بوظيفة ضرورية فهي تعبر عن المعتقدات وتسمو بها وتقنتها وتحفظ المبادئ الأخلاقية وتفرضها كما تضمن نجاعة الاحتفالات الطقوسية وتوفر للإنسان قواعد سلوكه العملية)[2].حيث اقتصر في تفسيره للأساطير على وظيفتها لا غير،مقلصا من أبعادها.

و حاول **ميرسيا إلياد** (**mercia elide**)وضع مفهوم خاص به للأسطورة إذ أنه من الصعب جدا إيجاد تعريف يكون مقبولا من طرف كل العلماء، فيعرفها على النحو التالي:(الأسطورة تروي تاريخا مقدسا،تروي حدثا جرى في زمن البدايات،بعبارة اخرى:الأسطورة تروي كيف أنه بفضل انجازات للكائنات فوق الطبيعة ظهرة واقعة ما إلى الوجود، سواء تعلق الأمر بالواقع ككل أي بالكون أو بجزء منه فقط:جزيرة كانت أو نباتا أو سلوكا بشريا أو مؤسسة، فهي إذن دائما قصة "خلق"تخبر كيف تكون شيئ ما وكيف بدأ في الوجود)[3].

أي أن الأسطورة لا تتحدث إلا عما وقع بالفعل وكان جليَ الظهور في هذا الكون فهي تحمل في طياتها واقعا ثقافيا جد معقد.

[1] مُحَّد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها، دار الغربي، بيروت، ط،1، 1994، ص 41.

[2] المرجع نفسه، ص 42.

[3] ميرسيا إلياد، بنية الأساطير، فصل مترجم من كتاب مظاهر الأسطورة، تر:مُحَّد يشوتي، مجلة العرب الفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، العددان، 13-14.

ويقول **د.دي روجمون(D.Deroagement)**:في كتابه "**الحب و الغرب**" عن الأسطورة:(يمكن ان نقول بصفة عامة إن الأسطورة قصة أو حكاية رمزية بسيطة ومؤثرة تلخص عددا لا ينتهي من المواقف المتشابهة قليلا أو كثيرا، وبالمعنى الضيق للكلمة تترجم الأسطورة قواعد السلوك عند جماعة اجتماعية أو دينية بعينها، وتنتمي بالتالي إلى العصر المقدس الذي تكونت حوله هذه الجماعة. والأسطورة لا مؤلف لها ويتعين أن يكون أصلها غامضا، وأن يكون معناها نفسه غامضا إلى حد ما. ولعل لأعمق سمات الأسطورة أنها تتمكن منا رغما عنا)[1]فهي وسيلة لترجمة القضايا الإجتماعية، إلا أنه يشوبها الغموض بشكل كثيف فهي ليست خاضعة لأي شيء.

يبقى هذا المصطلح غامضا بالرغم من الدراسات المكثفة حوله، فقد تسائل **سنت أوغسطين** قديما:(ما هي الأسطورة؟ إنني أعرف جيدا ما هي بشرط ألا يسألني احد عنها، و لكن إذا ما سئلت وأردت الجواب فسوف يعتريني التلكؤ.)[2]هذه الإجابة تبين درجة غموض وتعقيد الأسطورة فهي غير قابلة للتحديد والتقيّد.فكل من **دي روجمون** و **أوغسطين** اتفقا في نقطة غموض الأسطورة فالأول صرح بغموضها، والثاني تجاوز تعريفها لغموضها.

وقد ا عتبرت الأسطورة في رأي الكثيرين ميثولوجية دينية أبطالها آلهة هدفها الأسمى هو توضيح معتقد ديني أو رواية مغامرات الآلهة في عوالم مجهولة، حيث يرى "**رنيه ويلك René wellek**"في هذا الصدد أن الأسطورة هي:(الإصطلاح المفضل في النقد الحديث، وهي تشير إلى وتحوم على حقل هام من المعاني، يشترك فيه الديانة والفلكلور وعلم الإنسان وعلم الاجتماع والتحليل النقسي والفنون الجميلة.)[3]فهذا الباحث ربطها بالديانة أولا ثم بالفلكلور وعلوم أخرى.

[1] سامية أسعد، الأسطورة في الأدب الفرنسي المعاصر، مجلةالفكر وزارة الإعلام،الكوين، المجلد 16، ع3، 1985، ص 1.

[2] ك،ك راڤين، الأسطورة، تر: جعفر صادق الخليلي، منشورات مويدات، بيرت، باريس، ط1، 1981، ص 9

[3] رنيه ويليك،أوستن وراين، نظرية لأدب،تر:يحي الدين صبحي منشورات المجلس الأعلى للفنون والأداب، دمشق،ط1،1972،ص 245-246

وفي هذا الصدد يؤكد **ميرسيا** هذا الطرح ونفى عن الأسطورة كل ما هو غير ديني وأكد أنها(حدثا دينيا أو قصة مقدسة قبل كل شيء، و يؤكد"**جيمس فريزر James george frezer**"سواء في كتابه "**السحر و الدين**"عندما أشار إليها بطقوس السحر وأنها عبادة، أو في كتابه "**الغصن الذهبي**"الذي يعتبرها فيه نموذجا أوليا عبّر الإنسان الأول عن علاقته بالكون وأن الممارسة السحرية والدينية في شعائرها الأساسية وطقوسها هي البنى المركزية وجوهر الأسطورة عند الشعوب البدائية.)[1]فالأسطورة عند كل من "**رنيه ويليك**"و"**مالينوفسكي**"و"**ميرسيا إلياد**"و"**جيمس فريزر**"لاتخرج عن الطقوس الدينية، إذ أن تعريف كل واحد لها صب في الحقل الديني وهذا ما جعلها مقدسة وخالدة.

وفي نظر الباحث "**هيرمان نورثروب فراي**" "**Northop frye**" "أن الأسطورة نمط معين من القصة يقول:(إنها قصة تكون بعض شخصياتها الرئيسية آلهة أو كائنات أعظم قوة من الإنسان، ومن النادر أن نضعها في مكان من التاريخ، حيث تبوأ الحدث الأساسي فيها مكانا في عالم "يتجاوز أو يسبق الزمن العادي"على حد تعبير **ميرسيا إلياد Mercia Elide**، ومن ثم فإنها كالحكاية الشعبية إطار قصصي مجرد...فالأشياء التي تحدث في الأسطورة هي نفسها الأشياء التي تحدث في القصص فحسب، حيث هي عالم ادبي مستقل.)[2]فهي في بنيتها العميقة قصة، تمتد بخلفيتها المعرفية إلى الظواهر الطبيعية والدينية وأعمال الأبطال الخارقة وتحاول أن تفسرها بطابعها الخاص.

استمدت هذه القصص بطبيعتها من الواقع ومن ثم ترجمت كأسطورة لتعبر عن ذلك الواقع حيث يعرفها "**رولان بارت**""**Roland Barthes**"قائلا:(تقليد يكشف عن واقع طبيعي أو

[1] مُحَمَّد بلوحي، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي، من منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، د ط، 2004، ص 125

[2] هيرمان نورثروب فراي، في النقد والأدب، الأدب والأسطورة، تر: عبد الحميد إبراهيم بن شيخة، مكتبة النهضة المصرية، الفاهرة، دط، 1989، ص 67-68

تاريخي أو فلسفي من خلال المجاز أو الإستعارة، وهذا هو معناها عند الإغريق ثم يقول إنها تحولت إلى عملية تضليل، وشيء عابث خادع، وفي نهاية المطاف إلى "رمز"، ويستخدم في حديثه عنها عبارات مأخوذة من اللسانيات، فهي "كلام"و"رسالة" و"نظام للتواصل"وهي لا يمكن أن تكون شيئا أو تصورا أو فكرة، بل شكل ومعنى.)[1]وقد عرفها بارت بأنها تقليد للكشف عن الواقع وهذا التقليد والكشف لم يتوقفا، بل عرفا إستمرارية مست الشكل والمضمون سويا.

والأسطورة ظاهرة جماعية مشتركة الإنتاج بين مجموعة من الأفراد، فهي في بدايتها ظاهرة حقيقية ثم يحولها المبدع بخياله إلى نتاج أسطوري، مصحوب بألوان خيالية، فهي حسب علماء النفس من مبدعات الخيال ولها دور ورقابة عليه فهي التي تعدله وتنظمه وتصوغه، دون أن تتجاوز حدوده ليعبّر تعبيرا تتفق عليه الجماعية، فقد تحدث **"ليفي ستراوس" "Claude Lévi-Stauss**"عن الأسطورة(أنها حلول يصنعها الخيال لتسوية التناقضات الإجتماعية الواقعية)[2] فهي بذلك نسج من الخيال وضرب من الخروج عن الواقع لتحقيق غايات ومعتقدات معينة، وهي معادلة أساسها الخيال ومعظم الدارسين لها والمطلعين على مختلف تعاريفها وجذورها يؤكدون على علاقتها بالخيال لا بالواقع،فيقول "**باور**" "**Power**"في تعريفها:(الأسطورة تشمل كل ما ليس واقعيا أي كل ما لا يصدقه العقل...فكل قصة تعتمد على أسس غير عقلية أو تبرر بمبررات غير عقلية لا يكون ثمة شك أنها نتاج الخيال الأسطوري)[3]فهي تعانق الخيال بالدرجة الأولى إذ أن علاقتها وطيدة، فهو اللبنة الأساس التي تبنى عليه الأسطورة والتي بدورها تقوم بتفسير أحداث الحياة وظواهر الطبيعة ونشوء الكون ونظامه، تحت تأليف جماعي شعبي يعبر عن أفكار دينية ونفسية واجتماعية

[1] سامية أسعد، الأسطورة في الأدب الفرنسي المعاصر، ص 112

[2] مُحَمَّد عبد الرحمن يونس، الأسطورةمصادرها وبعض المظاهر السلبية في توظيفها، ص 48

[3] مُحَمَّد شاهين، الأدب والأسطورة، المؤسسة الوطنية العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1996، ض10

وأنثروبولوجية وصراع أزلي بين الخير والشر، ومحاولة تحديد المصير في هذا العالم الطبيعي والإجتماعي و الثقافي،فهي(ثمرة الخيال البشري من موقع معين والرامي إلى قيام عمل ما)[1].

وتأخذ الأسطورة بعدا فكريا باعتبارها معرفة سابقة للفكر وممهدة له فهي حسب "**هيغل**" "**Hegel**" و"**أرنست كاسيرر**" "**Ernst Kasarer**"(لها علاقة داخلية ضرورية مع المهمة الأم التي تسعى إليها ظواهر الفكر، وقد تنبه "**كاسيرر**" إلى أن الأسطورة تقع ضمن دائرة هي دائرة المعرفة النظرية والفن والأخلاق أي ضمن نظام أشكال التعبير الفكرية)[2] ففي نظرة "**هيغل**"و "**كاسيرر**" للأسطورة نجدها تحتل مكانة مرموقة باعتبارها نظام من الأشكال للتعبير عن الفكر.

ونجد في تعريفات أخرى للأسطورة أن هناك نخبة من الباحثين تعاملت معها كمصدر خصب لدراسة الشعوب وتحليل رؤيتها وبيان موقفها من القضايا التي شغلتها ومازالت تشغلها حيث أن الأسطورة وبحسب تعريف "**إيريك فروم** " "**Eric Fromm**"(لغة سرية تعيننا على أن نعامل الحدث الداخلي كما انه حدث خارجي)[3]فهي تمد يد العون لكشف المخبوء والتخلص من عقد خصوصة الداخل عن الخارج و العكس، وفي مقابل "**فروم**" الذي يمجد الأسطورة نجد له العديد من المناقضين الذين أعدوا الأسطورة مرضا نفسيا وعقدة، وهذا "**تايلور**" "**Taylor** "يرى بأن(الأسطورة ظاهرة مرضية ناشئة عن زيف الكلمات وبطلانها)[4].

وفي نفس التفكير يذهب "**ماكس مولر**" "**Max Muller**" إلى أن (الأسطورة إنما نشأت نتيجة قصور في اللغة، مما يؤدي إلى أن يكون للشيء الواحد أسماء متعددة، كما أن الإسم الواحد كثيرا ما يطلق على أشياء مختلفة)[5].

---

[1] مُحَمَّد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية وولادتها، ص 68

[2] المرجع نفسه،ص 58

[3] فخري صالح، دراسات نقدية في أعمال السياب، حاوي، نقل، جبرا، ص 205

[4] مُحَمَّد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية وولادتها، ص 41

[5] عبد الحميد يونس، معجم الفلكور، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1983، ص 34

ومن هذا المنطلق يتضح لنا أن جمعا من الباحثين الغربيين قد تباينت مواقفهم اتجاه الأسطورة فهي قصة رمزية يعتريها الغموض تحمل في بنيتها العميقة خلاصة تجربة الشعوب الفكرية على المستوى الديني والنفسي والاجتماعي والأنثروبولوجي وهي عند البعض وليدة الخيال، والبعض الآخر يراها منبعا للمعرفة السابقة للفكر، فهي بمثابة حقول فكرية مرجعية متعددة، أي أنها بنية ثقافية، وفي نظرة أخرى اعتبرت سرا للّغة على نقيض الرأي القائل بأنها عقدة ومرض نفسي.

وفي الأخير نستخلص بعض نقاط الإتفاق والإختلاف بين الغرب والعرب نوضحها في الجدول التالي:

نقاط الإتفاق	نقاط الإختلاف
-الأسطورة هي علم بدائي وقديم يهتم بدراسة الطبيعة والحياة وهي مصدر لجميع المعارف الإنسانية . -الأسطورة هي حكاية مقدسة، فيها طابع رمزي وذات مضمون عميق -الأسطورة واقع ثقافي جد معقد مس الحياة والدين والتاريخ للكشف عن الشكل والمضمون. -الأسطورة نوع من النظام الديني خاص بتقديس الآلهة فهي لا تخرج عن الطقوس الدينية -الأسطورة قصة خرافية يسودها الخيال فمعظم الباحثين يؤكدون علاقتها بالخيال لا بالواقع	-الأسطورة ليست مجرد أكذوبة، وهذا نظرا لأنها تستمد أحداثها مع الواقع الحقيق المعاش. -الأسطورة كما يراها العرب لغة سرية كاشفة، أما العرب فيرونها لغة مشوهة وسرد مشوه للأحداث -الغرب يرونها ظاهرة نفسية مرضية لا بد من علاجها وفي المقابل نجد العرب يستخدمونها كوسيلة فنية لتنشيط المسرح -الأسطورة عند الغرب تكون نتيجة لقصور اللغة، أما عند العرب فهي ظاهرة فنية يلجأ إليها المبدعون للتعالي بها

لقد وضح هذا الجدول بعض نقاط الإتفاق والإختلاف بين الغرب والعرب حول مفهوم الأسطورة إذ أجمع الإتفاق على أنها تصب في حقل" الدين، التاريخ، القصة، الخيال، الواقع، العلم ".

المبحث الثالث:علاقة الأسطورة بغيرها من المصطلحات المشابهة لها:

رغم أن الأقدمين لم يطلقوا على حكاياتهم المقدسة اسما معينا، ولم يجمعوها في سفر واحد يفرقها عن بقية الحكايات إلا أنهم كانوا يميزون وبدقة بين ما هو حقيقي ومقدس مرتبط بالمعتقدات الدينية، وبين ما هو مجرد حكاية ذات مضمون أدبي بحت. إلا أن تطور اللغة ونضجها وتنوع أساليب التغيير اللغوية، أدى إلى «تحول نوع من الأساطير إلى مجرد أدب دنيوي، يعيش على هامش الدين ولا يتصل به إلا بأوهى اتصال... فظهرت زمرة من الأساطير غير الدينية وتخدم غايات معرفية ومجتمعية شتى، قد يخرج بعضها عن النطاق الميثولوجي، ويشق لنفسه طريقا مستقلا، وهذه بدايات تشكل الحكايات الخرافية والقصص البطولية والشعبية... وما إلى ذلك من أجناس أدبية ورثت الأسطورة ونهلت منها[1].

1-علاقة الأسطورة بالخرافـة :

ارتبطت الأسطورة في أذهان الكثيرين- وإلى يومنا هذا-بالخرافة أو الحديث الباطل واعتبر كلاهما شيئا واحدا، كما ذهب إليه أرسطو، لكن الأسطورة هي حكاية مقدسة يؤمن أهل الثقافة التي أنتجتها بصدق روايتها إيمانا لا يتزعزع فما يميزها عن غيرها هو الاعتقاد فيها.

أما الخرافة فهي حكاية ملآى بالمبالغات والخوارق وتجري أحداثها بعيدا عن الواقع حيث تتحرك شخصياتها بسهولة بين المستوى الواقعي المتطور، والمستوى الخيالي «وتتشابك علائقها مع كائنات غيبية متنوعة مثل الجن والعفاريت والأرواح الهائمة، وقد تدخل الآلهة مسرح الأحداث في الخرافة ولكنهم يظهرون هنا بأشبه بالبشر المتفوقين لا كآلهة سامية متعالية كما هو شأنهم في الأسطورة. ومن هنا فإن الحدود بين الأسطورة والخرافة ليس دائما على مستوى كبير من الوضوح، وقد يشبه بعض الخرافات الأساطير في الشكل والمضمون إلى درجة تثير الالتباس والحيرة[2]»

[1] فراس السواح، دين الإنسان، دار علاء الدين والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية، ص64- 65

[2] فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1997 ،ص 15

فلا نستطيع التمييز بينهما إلا باستخدام معيار الاعتقاد- الذي أثبتناه في التعريف-أما الخرافة فإن راويها ومستمعها على حد سواء يعرفان منذ البداية أنها تقص أحداثا لا يعتقد أحد بتصديقها أو الإيمان بها فالخرافة ليست موضع اعتقاد. وهناك معايير أخرى وضعت للتمييز بين الخرافة والأسطورة وإن لم تكن على قدر كبير من الدقة.

أ-توجد الأساطير عادة في التراث فصيح اللغة وتوجد الخرافة في عاميتها، باعتبارها جزءا من الحكاية الشعبية ولا يمكن اعتبار هذا المعيار فاصلا بينهما لوجود خرافات شتى باللسان الفصيح مثل فابولات* [1]،الإغريق وديكاميرون بوكاتشيو[2]**.

ب-تنتمي الأسطورة لعهد ما قبل الديانات السماوية وترتبط الخرافة بعهود ما بعد الوثنية « وفي هذا الصدد يكاد يكون ثمة إجماع على أنه إذا تضمنت الحكايات موضوعا دينيا فمن السهل أن نجعلها أساطير للآلهة، وتلك تظل دائما من صميم معتقدات الشعب، ويظل في وسعها أن تلعب دورا مهما في العقيدة، في حين لا يكون للحكاية الخرافية علاقة بالماضي ولا الحاضر على حد سواء[3]»

ونخلص في الأخير إلى أن التشابه الكبير بين الخرافة والأسطورة لا يجعلهما اسمين لمعنى واحد.

2-علاقة الأسطورة بالحكاية البطولية و الشعبية :

أ-الحكاية البطولية

إذا كانت الخرافة هي أقرب الأقرباء للأسطورة فإن الحكاية البطولية هي أقرب للخرافة «ولكن الحكاية البطولية تختلف عن الخرافة في أمرين :أولهما: أن أحداث البطولة تختلف رغم المبالغة

* الفابولا: كلمة لاتينية تعني حكاية خرافية تخلع على الحيوان خصائص بشرية واسمها في اليونانية" Apologos" وتعني حكاية ذات مغزى خلقي .

** ديكاميرون: الصباحات العشرة للمجموعة القصصية التي ألفها بوكاتشينو متأثرا بألف ليلة وليلة

[3] أحمد كمال زكي، الأساطير الهيئة المصري العامة للكتاب، ص23

والتهويل، وثانيهما: وهو الأهم أن البطل فيها يشكل صورة مثالية عن الإنسان وعما هو إنساني وهي تثير الرغبة في السامع إلى تحقيق هذه الصورة المثالية[1]»

لذلك فإن الإنسان بدأ يتصور بخياله كائنات تستطيع بقواها الخارقة منازلة أعدائه «ومن خلال خيالاته بدأ يستعين بأصحاب الخوارق فيما لا يستطيع أن يفعله بنفسه فصور أنصاف آلهة يستمدون قواهم من السماء وصور أبطالا خارقين تتمثل فيهم مظاهر القوة عند الحيوان ومظاهر الجبروت عند الآلهة، ومن هنا ظهر جلجامش وأنكيدو عند البابلين، ورستم عند الفرس وهرقل عند الإغريق وأمثالهم كثيرون[2]». هذا النوع من الحكايات يكشف عن محاولة الإنسان المستمرة للهروب من حدود الواقع والبيئة الجغرافية، وأيضا من حدوده ككائن بيولوجي وعضو في جنس معين بشري وذلك عن طريق إلصاقه بنفسه الأعمال الخارقة التي لا يستطيع الإنسان العادي إثباتها.

وهناك حكايات بطولية تقص أحداثا تاريخية أو شبه تاريخية تسمى الحكاية البطولية الإخبارية «ويعتمد هذا النوع الأدبي على عدد من الوقائع التاريخية، ولكنه يراكم فوقها أحداثا إضافية خيالية إلى درجة يغيب التاريخ معها في ضباب الخيال مثل حرب طروادة ومثلها تغريبة بني هلال في الأدب الشعبي العربي[3]»

وتحت هذا المصطلح «الحكاية البطولية» نجد مصطلحين غربيين هما اللاجيندة والملحمة «فاللاجندة هي قصة غير متحقق من صحتها تاريخيا رغم الاعتقاد الشعبي بصحتها وهي تدور غالبا حول حياة أشخاص متميزين ومحبوبين على النطاق الشعبي وتنتمي قصص حياة وأعمال وكرامات القديسين إلى هذه الزمرة، أما الملحمة فهي تأليف شعري عالي المستوى يقص سلسلة من أعمال وإنجازات أحد الأبطال، وتجري معالجتها بإطالة وتفصيل على شكل نص[4]»

[1] فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين للنشر ،الطبعة الأولى،1997 ص 16

[2] سليمان مظهر أساطير من الشرق، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية، ص 12 .

[3] فراس السواح، الأسطورة والمعنى ،ص 17.

[4] المرجع نفسه، ص 16 .

ب–الحكاية الشعبية:

كذلك الحكاية الشعبية لا تحمل طابع القداسة والاعتقاد ولا تتطرق– كما هو شأن الأسطورة–إلى الموضوعات الكبرى مثل الخلق ولا قضايا الإنسان المصيرية، مثل الحياة والموت بل تقف عند حدود الحياة اليومية والأمور الدنيوية، فموضوعاتها تكاد تقتصر على مسائل العلاقات الاجتماعية والأسرية منها خاصة.

«والعناصر القصصية التي تستخدمها الحكاية الشعبية معروفة لنا جميعا، لذلك يسهل تمييزها عن الأسطورة ومن هذه العناصر مكر النساء، مكائد الزوجات وقسوة زوجة الأب وغيرة الأخوات في الأسرة من الأخت الصغرى...الخ.

والحكاية الشعبية تتصف بالواقعية إلى أبعد الحدود وتركز على أدق تفاصيل وهموم الحياة اليومية لكن هذا لا يعني أن العناصر الخيالية معدومة تماما في الحكاية الشعبية فهذه العناصر قد تستخدم الإشارة والتشويق عندما يقابل البطل غولا أو جنيا، فيستخدم حيله وذكاءه للإيقاع به[1]»

تخلو الحكاية الشعبية من أهداف، فبالإضافة للتسلية والإمتاع فهي تحمل في جوهرها رسالة تعليمية تهذيبية أخلاقية مثل جزاء الخيانة، فضل الصدق والتواضع والإيثار ونبذ الكذب.

3–علاقة الأسطورة بالفلكـور:

واستخدمنا كلمة فلكلور، ولم نستخدم ما يقابلها في العربية من ترجمات، مثل المأثورات الشعبية، أو الأدب الشعبي أو غيرها وذلك للدقة العلمية، وخاصة أن مصطلح فلكلور ذاعت تسميته وأصبح مصطلحا علميا.

[1] سليمان مظهر، أساطير من الشرق، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ص 74

وقد استخدمه علماء الأنثروبولوجيا للإشارة إلى «التراث غير المكتوب الذي تعبر عنه القصص الشعبية، والأغاني والأمثال الشعبية، كما يستخدم المصطلح أيضا ليشير إلى العلم الذي يدرس هذه المواد بالطرق التي تعالج بها المواد الاثنوغرافية[1]»

ويقول طومسون:«إن الفلكور هو التراث، إنه شيء انتقل من شخص إلى آخر وحفظ إما عن طريق الذاكرة أو بالممارسة، أكثر مما حفظ عن طريق السجل المدون، ويشمل الرقص، الأغاني والحكايات، قصص الخوارق والمأثورات والخزعبلات،كما أنه يشمل كذلك دراسة العادات والممارسات الزراعية المأثورة والممارسات المترلية، وأنماط الأبنية وأدوات البيت والظواهر التقليدية للنظام الاجتماعي». لم يلق هذا التعريف إجماعا لأنه أغفل جانبا مهما يتناوله الفلكلور وهو المعتقدات الشعبية. من هذين التعريفين، نخلص الى أن الفلكلور يهتم بدراسة:

– إضافة إلى المعتقدات الشعبية (مثل الاعتقاد في الجن والغيبيات).

– فنون المحاكاة مثل الرقص الشعبي بكل أنماطه وبعض الألعاب، الأدب الشعبي من شعر ونثر بكل ما يحوي من قصص وأساطير وأمثال وأحجيات.

–كما يشمل دراسة الثقافة المادية من الآثار والأدوات الشعبية المستخدمة في مجتمع من المجتمعات،سواء أكانت لباسا أو أدوات مترلية أو زراعية أو غيرها.

– العادات والتقاليد الشعبية مثل ما يتعلق بالاحتفالات والمناسبات والأسلوب السائد في مجتمع ما كعادات الزواج والأعياد، وطرق استقبال الضيوف وتوديعهم. إن الفلكلور عامل مهم في ثقافة الشعوب، فقد جاء تلبية لحاجة المجتمع،لحفظ عاداته وتقاليده وغرسه في نفوس الأجيال القادمة.ويصدق هذا القول على الأساطير.«فكلا من الأساطير والقصص الفلكلوري تبنى من مواد الحياة اليومية. فمن الواضح أن هذه الأشكال من النشاط الفني ذات قيمة عظمى في إلقاء الضوء

[1] قاموس علم الإجتماع، مُحَمَّد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، ص 190

على الميول الثقافية السائدة في شعب من الشعوب. وبتفسير القصص الفلكلوري والأساطير كثيرا ما يتمكن الخبير من وصف الثقافة وصفا على جانب من الدقة، فيما يختص ببعض وجوهها على الأقل[1]».

لذلك فقد زاد الاهتمام بدراسة الفلكلور متضمنا الأساطير في الآونة الأخيرة من قبل الدارسين والباحثين فيه، سواء بصورة فردية أو من ناحية بعض الجهات التي تهتم بهذا العلم،كالهيئات والمنظمات التي أخذت على عاتقها مهمة دراسة الفلكلور وتوثيقة.

[1] مُحَمَّد الخطيب الأثنولوجيا، دراسة عن المجتمعات البدائية، منشورات دار علاء الدين، الطبعة الأولى، 2000 ص196

نماذج عن الأسطورة الدينية

1-مخلوقات شرقية مرعبة...السعلاة.

بقلم: إياد العطار ferakimgdon@.yahoo.com

سنوات وأنا أقوم بترجمة وكتابة القصص عن الأشباح والمستذئبين ومصاصي الدماء وغيرها من المخلوقات المخيفة التي تتداخل عوالمها الغامضة أحيانا مع عالمنا المادي فتثير في قلوبنا خوفا وهلعا عظيما.

والغريب أن أغلب هذه القصص جرت وقائعها في بلاد الغرب... كتبت عنها الصحف وتحول بعضها إلى أفلام رعب مشهورة فطار صيتها واشتهرت في جميع أرجاء المعمورة وأحيانا وسط هذا الكم الهائل من الرعب العربي أتساءل حول سبب خلو الشرق القديم من المخلوقات الخارقة القوى كتلك التي نشاهدها في السينما... أليس غريبا أن تخلو بلادنا من مصاصي الدماء والأشباح والمستذئبين وغيرها من الكائنات الغامضة؟أم إن وسائل إعلامنا الضعيفة والمتهالكة هي السبب في بقاء فلكلورنا الثري مجهولا ومنسيا حتى بالنسبة لنا .

السعلاة...مخلوق مخيف لديه القدرة على التحول

كان الأعرابي يقود فرسه قاطعا تلك الفيافي القاحلة التي عركها وعركته لسنين طويلة حتى أصبح ملما بأدق تفاصلها، لم يبدو عليه التعب لكنه كان غاضبا، فها هو يسير وحيدا في تلك الصحراء الموحشة...اللعنة...دمدم بغضب ثم همس محدثا نفسه بحسرة: ما كان لي أن أمضي معهم لو لا طمعي... وها أنا أعود وحيدا خالي الوفاض...اللعنة...

أطرف الرجل متذكرا تفاصيل ما حدث معه، لقد خرج مع رهط من قومه في غزوة طمعا في الغنية، لكنهم انهزموا هزيمة مذكرة وتفرقوا كل يريد النجاة بنفسه..

وفيما كان الأعرابي سارحا في أفكاره يؤنب نفسه... ظهرت في الطريق الخالي أمامه إمرأة... لا يعلم كيف صارت قبالته فجأة كأنها خرجت من العدم... تفحصها جيدا...كانت غادة حسناء ترتدي ثوبا داكنا لمع جيدها الأبيض من بين طياته كالبرق، لكن من أين أتت هذه الفاتنة وماذا تفعل مثلها في هذا القفر الموحش؟... تساءل الرجل مع نفسه قبل أن تبادره المرأة بصوت عذب بخيم: حياك الله يا أخا العرب...هل لك في مساعدة إمرأة ضعيفة تقطعت بها السبل.

– حياك الله... رد الرجل تحيتها ثم أردف متسائلا من أنت وماذا تفعلين لوحدك في هذا المكان المنقطع؟

– آه ياسيدي...لقد كنت مسافرة مع قومي... لكني ابتعدت قليلا عن القافلة لقضاء حاجة...وحين أردت اللحاق بهم مرة أخرى كانوا قد رحلوا...لقد نسوني وتركوني خلفهم وحيدة.

– أي طريق سلكوا وكم مضى على رحيلهم؟ سألها الرجل مرة أخرى

–لقد ذهبوا في هذا الاتجاه عند انتصاف النهار...أشارت المرأة إلى الطريق الذي كان يسلكه الرجل.

– أنها نفس الطريق...هلمي واركبي ورائي لعلنا نلحق بهم...قال الرجل وهو يمد يده إلى المرأة ليردفها خلفه على الفرس.

"تظهر كامرأة جميلة وسط الأماكن المجهورة والمقصرة"

مضيا لبرهة صامتين...فكر الرجل في المرأة كانت بارعة الجمال وهما وحيدان وسط هذا البحر الشاسع من الرمال:لعل الآلهة أرسلتها عوضا عن الغنيمة التي فاتتني هذا اليوم... حدث الرجل نفسه وهو يتحسس يد المرأة الناعمة التي طوقت جسده...مد أصابعه نحوها بهدوء...لمسها بلطف... لكن تبا ما هذا...لقد وقعت يده على جسد خشن كأنه وبر، الإبل... فزع الرجل بشدة...أدار وجهه نحو الحسناء الجالسة خلفه ما شاهده كاد أن يقلع فؤاده من موضعه، كان وجه المرأة الصبوح قد اختفى وحل محله وجه أسود كالح لم يرى في حياته شيئا في قباحته، أدرك الرجل

على الفور بأن المرأة التي أردفها خلفه لم تكن سوى سعلاة محتالة اتخذت صورة امرأة جميلة لتغرر به و تخدعه... أراد أن يفتك بها بسيفه لكنها أطبقت أسنانها الحادة على رقبته فأسقطته عن فرسه يتخبط في دماءه، صرخ طلبا للنجدة، لكنهما كانا وحيدين في تلك الصحراء القاحلة المترامية الأطراف فذهبت صرخاته أدراج الرياح بينما راحت السعلاة تتلذذ بامتصاص دمه.

...هذه القصة خيالية أردت منها بيان تصورات قدماء العرب عن السعلاة تلك المخلوقة المتوحشة المخادعة التي اسهبوا في ذكر أخبارها ومثالبها، فهي عندهم كمصاصي الدماء والأشباح لدى الغربيين، وهم لم ينفكوا يتذاكرون أخبارها العجيبة في مجالسهم ومنتدياتهم.قالوا عنها بأنها من سحرة الجن، لديها القدرة على التحول والتصور بأشكال متعددة، تارة في هيئة عجوز ظريفة تخدع الأطفال الصغار فتأخذهم معها وتأكلهم وحينا في صورة حسناء جميلة تصيد المسافرين الوحدين في الصحراء والفياض المقطوعة لتتلاعب وتتلهي بهم ثم تمص دمائهم... أنها مصاصة دماء قديمة... أقدم بكثير من الكونت دراكولا ورفاقه الذين نشاهدهم في أفلام الرعب الهوليودية.

السعلاة خرافة الزمن ذات "السعلاة أو سلعوة" التي تخوف الأمهات أو لادهن بها في بعض البلدان العربية وأغلب الظن استوحى العرب خرافتهم هذه من فكلور و أساطير الأمم الأخرى حينما كانت قوافلهم التجارية تسير بين أطلال الحواضر العظيمة في مصر والعراق والشام، بالتأكيد شاهد أولئك التجار العرب صور مخيفة لمخلوقات جبارة تجمع بين صفات البشر والحيوانات منقوشة على جدران وهياكل المعابد الفرعونية والبابلية، ولا بد من أنهم تذكرو تلك النقوش المخيفة بينما كانوا يسيرون وسط الصحراء تحت جنح الليل البهيم عائدين أدراجهم نحو مدنهم البعيدة كمكة و يثرب والطائف.

آمن القدماء بحقيقة وجود الغول والسعلاة والعنقاء والشق ... وغيرها من الوحوش التي نسميها اليوم خرافة، آمنو بوجودها وذكروها في كتبهم، فالمسعودي أورد بعضا من أخبارها في

كتابه(عجائب الزمان)فقال :" ومنهم _أي السعالي _ من تظفر بالرجل الخالي في الصحراء، أو الخراب، فتاخذه بيده فترقصه حتى يتحير ويسقط فتمص دمه ".

ربما تكون مستوحاة من الآلهة القديمة :

أما القزويني فقد كتب عن السعلاة في (عجائب المخلوقات) قائلا: " ومنها السعلاة هي نوع من المتشيطنة متغايرة للغول .. وأكثر ما توجد السعلاة في الفياض وهي إذا ظفرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر. قال : "وربما اصطادها الذئب بالليل فأكلها، وإذا افترسها ترفع صوتها وتقول : أدركوني فإن الذئب قد أكلني، وربما تقول : من يخلصني ومعي ألف دينار يأخذها والقوم يعرفون أنه كلام السعلاة فلا يخلصها أحد فيأكلها الذئب ". ويبدو مما كتبه القزويني بأن قوى السعلاة الخارقة تخور أمام حيوان مفترس كالذئب، فهي إذن مخلوقة يمكن قتلها و التخلص منها .

ويقول الجاحظ عن السعلاة في كتاب (الحيوان) :" و السعلاة اسم الواحدة من نساء الجن إذا لم تتغول لتفتن السفار. قالوا :" وإنما هذت منها على العبث، أو لعلها أن تفزع إنسانا جميلا فتغير عقله، فتداخله عند ذلك، لأنهم لم يسلطوا على الصحيح العقل ".

قال :" وقد فرق بين الغول والسعلاة عبيد بن أيوب ، حيث يقول :

وَسَاخِرَةٌ مِنِّي لَوْ أَنَّ عَيْنَهَا **** رَأَتْ مَا أُلاَقِيهِ مِنَ الهَوْلِ جَنَّتْ**

أَزَلُّ وَسِعْلاَةٌ وَغُولٌ بِقَفْرَةٍ **** إِذَا اللَّيْلُ وَارَى الجِنُّ فِيهِ أَرَنَّت**

وهم إذا رأوا المرأة حديدة الطرف والذهن سريعة الحركة، ممشوقة ممحصة قالوا: "سعلاة".

أما الدميري في كتاب"حياة الحيوان" فيقول عنها:"السعلاة: أخبث الغيلان وكذلك السعلاء تمد و تقصر، و الجمع السعالي.واستسعلت المرأة أي صارت أي صارت صاخبة وبدية..ويقول أيضا:السعلاة ما يتراءى للناس بالليل".

ومن طريف أخبارها هو عشقها لرجال الأنس فربما خدعتهم ليتخذوها زوجة وربما أنجبت أطفالا؟ كما ورد في بعض الحكايات، فالمسعودي كتب عن ذلك قائلا:"وحكي أن صنفا من السعالي يتصورن في صور النساء الحسان ويتزوجن برجال الأنس كما حكي عن رجل يقال سعد بن جبير، أنه تزوج منها وهو لا يعلم ماهي، فأقامت عنده وولدت عنده أولادا وكانت معه ليلة على سطح يشرف على الجبانة، إذا بصوت في أقصى الجبانة نساء يتألمن فطربت وقالت لبعلها أما ترى نيران السعالي شأنك وبينك استوص بهم خيرا فطارت فلم تعد إليه"؟؟.

ويقول الجاحظ عن ذلك أيضا:"وذكر أبو زيد عنهم أن رجلا منهم تزوج السعلاة،وأنها كانت عنده زمانا وولدت منه، حتى رأت ذات ليلة برقا على بلاد السعالي، فطارت إليهن فقال:

رَأَى بَرْقًا فَأَوْضَعَ فَوْقَ بَكْرِ **** فَلاَ بِكَ مَا أَسَالَ وَ مَا أَغْمَا**

فمن هذا النتاج المشترك وهذا الخلق المركب عندهم، بنو السعلاة من بين عمر بن يربوع".

2–من أجل الخلق... نشبت معركة السماء[1]:

لم يكن هناك سوى «إبسو» المحيط الأزلي... و«تيامات» المياه المالحة.. لا سماء ولا أرض.. لا آلهة ولا بشر... لا شيء من ذلك أبدا سوى الفضاء المحيط... أبى كل شيء... والمياه الممتدة إلى مالا نهاية، بكل ما فيها من اضطراب وفوضى، تضرب كلها الأطناب، وتخرج من بعد كل شيء حي... ولم تكن المياه قد تشكلت بعد في محيطات وبحار، أو بحيرات وأنهار، بل كانت كلها شيئا واحدا، واسعا إلى غير حدود، عميقا إلى اللانهاية، أما المستقبل، فما كان يبدو منه شيء قط... لا شيء سوى ظلمة أخرى حالكة... أشد سوادا من أعماق الليل نفسه.

وتعاقبت الأزمان، حتى جاء زمن اختلط فيه الماء بالفضاء، ومن اختلاطهما خرجت أشياء أخذت تنمو وتتخذ لها أشكالا عديدة غريبة، ثم ظلت ترتفع حتى استقرت في أعلى... وكان منها كل آلهة النور... وأطلت «تيامات» إلى المخلوقات الجديدة وملأها الفزع.. فما كانوا قط من طينتها، ولا تشكلوا أبدا بأشكالها، فهي لم تكن تعرف في حيتها سوى الظلام والفوضى والاضطراب، أما الذين يعيشون في أعلى... فلا يريدون غير النور والنظام والاستقرار، وكان هذا كله عكس ما تريد... بل كان هذا كله أول أسباب الحقد والغضب والثورة على آلهة النور... وقررت «تيامات» أن تتلخص من المخلوقات الجديدة وأن تشن عليهم حربا لا هوادة فيها قط.

وظلت تيامات تعمل بلا انقطاع.. فمن جوفها جاءت الوحوش المخيفة المفترسة وانطلقت الثعابين المهولة ذات السم... وعلى سطح الماء برزت رؤوس التنانين، بشعة تثير الرعب وخرجت الكلاب مفترسة لا مثيل لوحشيتها، والعقارب مخيفة سوداء كالمردة، ومن كل مكان انطلقت حيوانات أخرى كسيول شريرة مجنونة، تتحرك تحت إمرة الوحش«كنجو» العملاق، الذي وعدته تيامات بالزواج وإعطائه ملك كل شيء، إذا تغلب على آلهة النور، وسحقهم بذراعه القوي الجبار.

[1] سليمان مظهر، قصة الديانات، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية 2002م، ص65

وفوجئت الآلهة بعدوان تيامات، وكان أول من عرف نواياها هو الإله «آي» الذي ساق الخبر إلى الإله «أنصار»، وعجب هذا لموقف تيامات، وامتلأ قلبه حنقا وسخطا، يختلط بالخوف والرعدة مما قد يحل بمجتمع الآلهة، وانطلق أنصار إلى «الإله أونو» فكلفه الذهاب إلى تيامات يسألها عن سر تحديها للآلهة.

وانطلق أونو إلى مملكة تيامات.. غير أنه ما كاد يقترب، حتى نهض له «كنجو».. الوحش المارد المستلقي إلى جوار تيامات، وهاجمه في شدة وعنف وجنون وتوقف أونو، ثم حرك قدميه إلى الخلف، ثم دار ظهره.. ثم ولى الأدبار هاربا يجري في مواجهة الحيوان الصاخب المهول.. وتوالت مواكب الآلهة واحدا في أثر الآخر، لمقابلة تيامات.. ولكن أحدا منهم لم يستطع الوصول إليها أو مناقشتها.. ولا عرف أحد منهم كيف يبحث معها سر ذلك الغضب العنيف.

وجلس الجميع ذات يوم يبحثون الأمر، وكان بينهم الإله «مردك» الذي لم يكن قد جرب حظه مع تيامات من قبل، ومن خلال الفشل الذي مني به الجميع، أطلوا إلى «مردك» وطلبوا منه أن ينازل الآلهة المتوحشة، وبغير ما خوف انحنى لهم مردك... وقد قبل النزال، بشرط أن يقر له الجميع متى انتصر بأنه هو الأقوى.. ولا أحد أقوى منه.

ولم يكن أمام آلهة النور بيد من القبول.. ومنح مردك السلطة السماوية الكاملة ليكون له حكم الكون كله..

أراد مردك قبل أن يمضي لمصارعة تيامات، أن يجرب ما لديه من فنون القوة، وأتى الإله برداء طويل القامة أمام كل الآلهة.. وتلا بضعة تراتيل لم يكد ينهيها حتى اختفى الثوب وتلاشى. وأخذ بالآلهة العجب وطلبوا منه أن يعيد الرداء كما كان. وعاد مردك يتلو تراتيله فإذا الرداء يعود، ويمتد في نفس المكان الذي كان قد تلاشى فيه. واقتنع مردك بان أحدا من الآلهة لم يعد له مثل نفوذه وسلطانه، فقرر البدء في رحلة الانتقام.

وانتفض مردك وهو ينهض ليبدأ الصراع الجبار، فبدا رائعا وهو يتحرك ومن أمامه تبرق البروق ومن فوقه ترعد الرعود، والقوس الضخم فوق ظهره، والرمح الثقيل في يده، والشبكة الهائلة التي قرر أن يصطاد با الوحش كنجو الرهيب يجرها خلفه، لقد كان الإله المنتقم قد أعد عدته للكفاح، ولم يعد هناك سوى أن يلتقي بروح الشر في جسد تيامات.. واستمر الإله مردك يقود مركبة القدر ليصل إلى حيث تجري المعركة.. وعندما وجد أنه قد اقترب

من المكان، نطق كلمة واحدة، فإذا ريح مروعة تجري أمامه، وإذا الريح تتحول فتصير عواصف وزوابع وأعاصير، تتجمع كلها لتكون سلاحا في يد مردك، سلاحا أقوى من أي سلاح يمكن أن يحمله إله.. وأطلت الحيوانات المهولة فإذا كل شيء قد انقلب، وإذا نور يشع من خوذته يخطف الأبصار، فهرعت تختفي في أعماق الظلمة، وأفواهها من الخوف ترسل الزبد.. واستمر مردك، مصحوبا بكل دعوات آلهة السماء، في طريقه المرسوم.

وبلغ مملكة تيامات، وأطل فإذا وحش مهول في شكل تنين مخيف، يحاول النهوض من استلقاءه، ومن عينيه ينطلق بريق مخيف، ومن منخاريه يندلع لظى اللهب وفتح التنين فمه فإذا به كجهنم، النار تغلي فيه، والأصوات المرعبة ترعد وتدوي ولا تسكت أبدا.. وتوقف مردك في مكانه، وزعق يخاطب تيامات من بعيد.. ويطلب منها أن تجنح إلى السلم، وتبعد عن رأسها فكرة العدوان.

وقهقهت تيامات وهي تهتز، ثم سلطت في سرعة على عدوها أقوى ما عرفته من تعاويذ السحر وأشدها أثرا.

ولكن مردك كان قد أعد العدة لأبعاد السحر عنه.. وفي لحظة، رفع شبكته الهائلة وألقى بها في قوة إلى حيث وقفت تيامات.. واندفعت الآلهة المهولة إلى الخلف، ولكن الشبكة أمسكتها وجذبها الإله إليه ثم أطلق على فمها ريحا صرصرا عاتية.

ودخلت الزوبعة عنيفة بين فكي تيامات.. واخترقت الحلقوم لتدخل في بطنها الذي ظل ينتفخ وينتفخ.. وعندما بلغ آخر درجات الانتفاخ، رفع مردك رمحه الضخم وطعن البطن المنتفخ.

فانفجر في صوت صاخب كالرعد، وسقطت تيامات ميتة..عندما انتهى مردك من قتل تيامات،وقف فوق جسدها، ثم قطع قلبها الشرير فألقى به في الفضاء الأسود، ثم تحول إلى التنين الهائل فقضى عليه.. أما وحوشها الأخرى، وتوابعها السود، فقد أخذوا يصرخون وهم يحالون الفرار، ولكنه لم يمهلهم بل أخذ يلقي عليهم شبكة تصطادهم واحدا في أثر آخر ووقعوا كلهم في الأسر.

وانحنى مردك على جثة التنين فأخذ منها حبوب القضاء والقدر التي أعطتها له تيامات المذبوحة، تلك الحبوب التي تمنح النفوذ والسلطان- لكن من يحملها- على المصائر والأقدار.

وحملت رياح الجنوب دماء تيامات إلى أماكن سرية مجهولة، حين كان مردك قد انحنى من جديد على جثتها، وشقها جزأين مستطيلين، رفع احدهما ليكون السماوات.. وخفض الآخر ليكون الأرض.. وعندما انتهى مردك من رفع السماء، نثر على صفحتها الكواكب لتضيء،ولتجري في طريق منتظم مرسوم.

وعندما أضاء مردك السماء.. جعلها مكانا لإقامة الآلهة «أونو بعل آي» أما الآلهة الآخرون فقد قسم عليهم الكواكب، ليكون كل كوكب بيتا لآله، ثم قسم السنة وجعل لكل شهر ثلاثة كواكب، كما جعل لإله القمر حكم الليل وإضاءته، ومنحه كل شهر يوما يستريح فيه، أما الشبكة الهائلة التي صحبته في معركته مع تيامات فقد جعل لها كوكبا ومعها قوس.. وأما الرياح التي ساعدته في القضاء عليها، فقد جعل لكل منها كوكبا جديدا.

وإذ انتهى مردك من إقرار كل إله فوق كوكبه، وضع نفسه هو الآخر في كوكب كان أكبر من الكواكب الأخرى وأضخم.. وجعله المصدر الرئيسي للنور في صفحة السماء، غير أن مردك ينس

الأرض عندما كان يرفع صفحة السماء.. فقد كانت الأرض التي وضعها في حاجة هي الأخرى إلى معجزة.

وأطل مردك وهو يفكر، لقد كانت الآلهة في حاجة إلى من يصلي لها ويعبدها، وأذن.. فلتكن المعجزة هي خلق الإنسان.. وانحنى مردك على الأرض وشرع يعجن التراب بدمائه، ويصنع من الطين ناسا تقوم على خدمة الآلهة والصلاة لهم وعبادتهم وهكذا خلقت البشرية.. عمرت الأرض بالمخلوقات الجديدة وطفق البشر يتزاوجون ويتناسلون، ويقيمون الصلاة للآلهة التي خلقتهم وسوت لهم الأرض وقدمت لهم النور من السماء..، ولكن الأمر لم يكن ليستمر طويلا على منوال واحد.. فإذا القوم كلما ازداد عددهم تنافروا وتنازعوا، وإذا الصلوات تقل والعبادة تنهار، والشر يدخل كل يوم من حيث خرج الخير.. وأصبح الخلق غير الخلق.. والناس غير الناس،

وظهرت على الأرض سلسلتان من البشر تسيران في خطين متوازيين.. إحداهما لا تزال متصلة بالآلهة.. أما الأخرى فقد قطعت كل صلاتها بهم، ولم يعد أمام أصحبها من هدف سوى الوصول إلى اللذة من أي طريق.

في هذا النص الأسطوري نلاحظ الأسلوب الأسطوري الذي تم بواسطته تصوير القضايا الكبرى بصورة رمزية، تبهر العقل وتدهشه لتضمن هذه الأسطورة معان عظيمة عن خلق الكون، وخلق السماء والأرض وخلق الإنسان والنبات والحيوان وتعتبر هذه الأسطورة من أهم أساطير الخلق وأجملها على الإطلاق ولقيت كثيرا من الاهتمام والدراسة من قبل علماء الميثولوجيا الذين اعتبروها أحد الوثائق الهامة في دراسة تاريخ الفترة التي كتبت فيها، على أساس أنها تخبرنا عن تنظيم آلهة العالم الأكثر قدما، وطريقة حكمها، وتدلنا على طريقة الإعمار والأقدار وتعلمنا كيف خلقت البشرية ولماذا وكيف أُسست المِلَكية؟.

.

خاتمة

بعد الرحلة الشيقة والشاقة في بحثنا نخط آخر السطور فيه لعرض النتائج التي أمكن الوصول إليها:

– السجع هو توافق العبارات أو الجمل في نهايات الفواصل أو هو الكلام المقفى غير الموزون الذي ارتبط في الجاهلية بشريحة الكهان، والكهان عند العرب طائفة ذات قداسة دينية وسلطان كبير لدى القبائل شأنهم شأن الحكام في المنافرات.

– سجع الكهان هو ضرب من الخطاب الديني الشفهي، الذي يقوم أساسا في نسيجه اللغوي وبنيته الأسلوبية على الأسجاع، وهو فن قائم بذاته،ظهر في العصر الجاهلي ويبدو أن منزلة الكهان في الجاهلية كانت كبيرة،إذ كانوا يعتقدون انه يوحى إليهم، وكان العرب يلجؤون إلى الكهان في كل شؤونهم.

– كان الكهان إضافة إلى السجع، يعمدون إلى ألفاظ غامضة مبهمة، حتى يتركوا فسحة لدى السامعين كي يؤول كل منهم ما يسمعه حسب فهمه وظروفه، إذ يومئون إلى ما يريدون إيماء،و قلما صرحوا أو وضحوا، فكان تنبؤ الكهان يقوم على اختيار الألفاظ التي تخدع السامع.

– تميز الكهان باستعمالهم السحر الذي عرف بأنه مجموعة عزائم ورقى وعقد تؤثر في القلوب والعقول والأبدان فتسلب العقل وتوجد الحب والبغض وتفرق بين المرء وزوجه وتمرض البدن وتسلب تفكيره.

–الأسطورة تمثل نظرة المجتمعات القديمة غلى عملية تشكل الكون،كما أنها تجسد بها تفسيرا يرمي إلى فض أسرار الصول الأولى لمختلف الظواهر الطبيعية الاجتماعية.

– الأسطورة هي تعبير عن معتقدات الشعوب في عهودها البدائية والتي تمثل تصورها لظواهر الطبيعة والغيبيات في عقائد الإغريق القديمة.

– الأسطورة نظام فكري متكامل استوعب قلق الإنسان الوجودي وتوقه الأبدي لكشف الغوامض التي يطرحها محيطه والأحاجي التي يتحداه بها التنظيم الكوني المحكم الذي يتحرك ضمنه.

– الأسطورة تمثل وجهة نظر المجتمع المتطور الذي أقر بما يميزه عن الطبيعة واستطاع أن يدفع عن ذاته الكثير من أسباب الخوف من القوى الخفية والأهواء المتقلبة لمختلف الآلهة.

– الأسطورة تعالج مختلف المشكلات الكونية الكبرى، ولا تتعرض للإنسان إلا في سياق تتبعه وخضوعه للآلهة التي ترمز إلى القوى الكونية .

– الأسطورة حدثت منذ وقت طويل وفي زمن ساحق ولا زال الإنسان يتذكرها بجل أجزائها.

– لقد كانت الأسطورة الدينية تمثل الرقيب الذاتي والحارس التلقائي في النفس لدى الفرد والجماعة في مراعاة الانظباط الخلقي والقانوني للارتقاء في التقرب للإله.

وكما يمكن القول أن الأسطورة الدينية تعد ظاهرة اجتماعية لعدم خلو أي نظام اجتماعي لمجتمع ما منها.فهي تابعة للدين.بل تمثل الإعلام المقدس في منظومة الدين الذي يحمل مصداقيته في ذاته دون الحاجة لبرهان عن ذلك، أما علتها فتبرز في الحاجة الملحة لها فهي ضرورة لقيام الجماعة بصورة عامة وكذلك تكون الأسطورة الدينية وسيلة في بعض محال وجودها واستعمالها في تحقيق غايات كتقديس الحاكم لتكريس الطاعة وضبط النظام.

و قد يعتقد الكثيرون أن دراسة الأسطورة لاتخرج عن كونها قصة خيالية، قوامها الخوارق والأعاجيب،و لا داعي لإنكار مثل هذه الرؤى،لذلك نسطر بعض الأهداف من هذه الدراسة:

- دعوة أهل علم الاجتماع إلى الإطلاع على على أساطير المجتمعات، فمن خلالها يستطيعون أن يكشفوا الأعراف والقيم والعادات الاجتماعية التي يتمسك بها كل مجتمع.
- إبراز المعايير التي بواسطتها يمكن التمييز بين النص الأسطوري و غيره من النصوص.
- جعل الأسطورة مرجعا ثقافيا متميزا تنهل منه الكثير من الدراسات الاجتماعية والدينية والفكرية والتاريخية والفلكلورية.

قائمـــة

المصادر والمراجع

أولا:القرآن الكريم برواية حفص

ثالثا:الكتب

1. ابن الأثير، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر .
2. ابن الأثير، المثل السّائر، محمّد محي الدّين عبد الحميد، ج01.
3. إبن القيّم، تفسير القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط:01، 1410.
4. ابن حجر الهيثمي، الزّواجر عن اقتراف الكبائر، دار الفكر، ط:01، 1407.
5. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق: علي فودة، مكتبة الخانجي، ط:02، 1994م.
6. ابن عطية الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافعي محمّد، ج05، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:01، 1422هـ.
7. ابن فارس اللّغوي، مقاييس اللّغة ، مادة (س.ج.ع)، ج03.
8. ابن قدامة، المغني، دار إحياء التّراث العرب، ط:01، 1985م، مجلّد:08.
9. ابن كثير، جامع المسانيد والسّنن الهادي لأقوم سنن، تحقيق: عبد الله بن عبد الله الدّهيش، ج08، بيروت، لبنان، دار خضر للطباعة والنّشر والتّوزيع، 1419هـ، 1998م.
10. إبن هشام، السّيرة النّبوية، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط:02، 1375هـ، 1955م، 34/1.
11. ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح، بيروت، دار الهادي، ط:04، ج04، 1992م.
12. أبو الفضل جمال الدّين مُحَمَّد به مكرم بن منظور الإفريقي، اسان العرب، بيروت، دار صادر ودار بيروت، 1375هـ، 1956م، مادّة سجع، ج01.
13. أبو جعفر الطّبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق:أحمد محمّد شاكر، مؤسّسة الرّسالة ط01، 1420هـ، 2000م.
14. أبو داود: صحيح سنن المصطفى، بيروت، دار الكتاب العربي، ج02.
15. أبو عثمان عمرو بن الجاحظ: البيان والتّبيين، تحقيق: درويش جويدي، بيروت، المكتبة العصرية، ج01، 2003.

16. أبو هلال العسكري:كتاب الصّناعتين (الكتابة والشّعر)، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:01، 1981م.

17. أحمد طالب الإبراهيمي:آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج03،ط:1997،01م.

18. أحمد كمال زكي، الأساطير الهيئة المصري العامة للكتاب .

19. أسطورة marefag اطلع عليه بتاريخ 02-07-2020 بتصرف.

20. أنيس فريحة، ملاحم وأساطير من أوغاريت"وأس الشمرا" منشورات الجامعة الأمريكية، بيروت، ط1، 1966.

21. البخاري: خلق أفعال العباد، تحقيق: عبد الرّحمن عميرة، الرّياض، دار المعارف السّعودية.

22. توفيق فهد، الكهانة العربية قبل الإسلام، بيروت، لبنان، شركة قدمس للنشر والتّوزيع، 2007.

23. الجاحظ: البيان والتّبيين، تحقيق: عبد السّلام هارون، بيروت، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ج01.

24. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربية، بيروت، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، ط02، 1978م،181/1 .

25. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط:02، ج06، 1413ه، 1993م.

26. الجوهري إسماعيل ابن حماد، تاج اللّغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط:04، 1990م، مادّة سحر.

27. حسن الباش، موقف الإسلام من السّحر والخرافة، دمشق، دار حصين للدراسات والنّشر والتّرجمة، ط:01، 1993م.

28. خالد بن عبد الرّحمن الجريسي، الحذر من السّحر، المملكة العربية السّعودية، الرّياض، مؤسّسة الجريسي للتّوزيع والإعلام.

29. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمّد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الكتاب اللّبناني، ط:05، ج02، 1995م.

30. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، مادّة (س.ج.ع).
31. رينيه ويليك،أوستن وراين، نظرية لأدب،تر:يحي الدين صبحي منشورات المجلس الأعلى للفنون والأداب، دمشق،ط،1972.
32. سامية الخشاب، دراسات في الاجتماع الديني، الكتاب الأول، دار المعارف، الطبعة الأولى 1988 .
33. الأسطورة توثيق حضاري، قسم الدراسات والبحوث، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، مملكة البحرين،ط1، 2005.
34. سليمان مظهر أساطير من الشرق، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية.
35. سليمان مظهر، قصة الديانات، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية 2002م.
36. ميرسيا إلياد، بنية الأساطير، فصل مترجم من كتاب مظاهر الأسطورة، تر:مُحَمَّد يشوتي، مجلة العرب الفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، العددان، 13-14.
37. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، القاهرة، دار المعارف بمصر.
38. صالح نضال، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، د.ط.
39. صحيح مسلم، المسند الصّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، بيروت.
40. صحيح مسلم، فضائل الصّحابة، باب من فضائل أبي ذر، ج04، رقم 2473.
41. صفوت أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، القاهرة، شركة مكتبة مطبعة مصطفى البالي الحلبي وأولاده، ج01.
42. عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 1968
43. عبد الرّحمن بن سليمان التّميمي، التّوحيد وقرّة عيون الموحّدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، ت: بشير محمّد عيون، م ع السّعودية، مكتبة دار البيان، ط:01، 1411هـ، 1990م.

44. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، مُحَمَّد بن صالح العثيمين، تح: عبد الرحمن بن محلي اللويحيق، دار بن حزم بيروت، لبنان، ط1، 1424-2013.

45. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

46. عبد العزيز عتيق: علم البديع، بيروت، لبنان، دار النّهضة العربية.

47. عبد الله بن أحمد السّهيلي، الرّوض الأنف في شرح السّيرة النّبوية لابن هشام، بيروت، دار إحياء التّراث، ط01، 1421هـ، 2000، 67/1 .

48. عبد الله بن باز، حكم السّحر الكهانة وما يتعلّق، الرّياض، المملكة العربية السّعودية، الإدارة العامّة لمراجعة المطبوعات الدّينية، ط:04، 1427، 2006.

49. عبود قرة، علم التّنجيم أسراره وأوهامه، دمشق، سوريا، دار علاء الدّين للنشر والتّوزيع، ط:01، 2000م.

50. العسقلاني، صحيح البخاري فتح الباري، تحقيق: سعيد عبد الرّحمن موسى القزقي، بيروت، عمان، دار عمار، ط:01، 1405هـ.

51. عماد مجاهد، التّنجيم بين العلم والدّين والخرافة، عمان، دار الفارس للنشر والتوّزيع، ط:01، 1998م.

52. عمر سليمان الأشقر، عالم السّحر والشّعوذة، عمان، الأردن، دار النّفائس للنشر والتّوزيع، ط03، 1418هـ/1997م.

53. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، بغداد، مطبعة العاني، 1386هـ، 1967م، مادّة (س.ج.ع).

54. فخر الدّين الرّازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: إبراهيم السّامرائي، محمّد بركات حموي، عمّان، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، 1985.

55. الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب، التّفسير الكبير، ج10، بيروت، دار إحياء التّراث العربي، ط:01، 1420هـ.

56. فخري صالح، دراسات نقدية في أعمال السياب، حاوي، نقل، جبرا.

57. الفرّاء البغوي الشّافعي، معالم التّنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرّزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التّراث العربي، ط:01، 1420هـ.

58. فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دراسات في الميتولوجيات والديانات المشرقية، دار علاء للدين للنشر والتوزيع والترجمة،دمشق،ط.2، 2001.

59. فراس السواح، دين الإنسان، دار العلاء للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، الطبعة الثانية.

60. ك،ك راثفين، الأسطورة، تر: جعفر صادق الخليلي، منشورات مويدات، بيروت، باريس، ط1، 1981.

61. مجموعة محاضرات للدراسات العليا ، 2006 م ، 2007. مرد زعيمي، نظريات علم الاجتماع الدينيسامية الخشاب ، دراسات في الاجتماع الديني ، الكتاب الأول ، دار المعارف ، الطبعة الأولى، 1988 مُحَمَّد الخطيب ، الاثنولوجيا ، دراسة عن دراسة بدائية ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع.

62. المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، علي ابن اسماعيل بن سيدة، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط:01، مادّة (س.ج.ع)، ج01.

63. محمّد التّحريشي: أدوات النّص، دمشق، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 2000.

64. مُحَمَّد الخطيب الأثنولوجيا، دراسة عن المجتمعات البدائية، منشورات دار علاء الدين، الطبعة الأولى، 2000.

65. مُحَمَّد بلوحي، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي، من منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، د ط، 2004.

66. محمّد رجب النّجار، النّثر العربي القديم من الشّفاهية إلى الكتابية، الكويت، دار العروبة للنشر والتّوزيع، ك02، ج01.

67. مُحَمَّد شاهين، الأدب والأسطورة، المؤسسة الوطنية العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1996.

68. مُحَمَّد عبد الرحمن يونس، الأسطورة مصادرها وبعض المظاهر السلبية في توظيفها.

69. مُحَمَّد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها، دار الغربي، بيروت، ط،1، 1994.

70. محمّد عزة دروزة، التّفسير الحديث، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ج03، 1383.

71. محي الدّين أبو زكريا بن شرف النّووي الشّافعي، رياض الصّالحين، ت: عبد الله أحمد أبو زينة، بيروت، لبنان، دار القلم، 1970.

72. مقاييس اللّغة، ابن فارس اللّغوي، تحقيق:هبد السّلام هارون، القاهرة، مكتبة الخنجي، 1981م، مادة (س.ج.ع)، ج03.

73. مؤلفون عرب(2009) الأسطورة توثيق حضاري (الطبعة الأول) دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر.

74. نبيل مُحَمَّد توفيق السمالوطي ، الدين والبناء الاجتماعي ، الجزء الثاني ، دار الشروق لعنشر والوزالوام ، لعنشر والوزالوام 1401 هـ -1981 م .

75. النّسائي، السّنن الكبرى، بيروت، 1421هـ، 2001م.

76. هيرمان نورثروب فراي، في النقد والأدب، الأدب والأسطورة، تر: عبد الحميد إبراهيم بن شيخة، مكتبة النهضة المصرية، الفاهرة، دط، 1989 .

77. الواحدي، أسباب نزول القرآن، الدّمام، دار الإصلاح، ط:02، 1992م.

رابعا:مذكرات ورسائل دكتورة

1. الأسطورة في شعر بدر شاكر السياب، التموزيات، أنموذج مذكرة شهادة ماستر في اللغة العربية وآدابها، 2017-2018.

2. زعير مراديمي، النظرية العلمانية برؤية إسلامية، رسالة دكتوراه 199.

خامسا: مجلات ومقالات

1. سامية أسعد، الأسطورة في الأدب الفرنسي المعاصر، مجلةالفكر وزارة الإعلام،الكوين، المجلد 16،ع3، 1985.

2. القلشقندي، مج الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف علي طويل، دمشق، دار الفكر، 1978.

3. مجلة القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب العربي، القاهرة، ط1، 1968.

4. ركب الحاج،دعوة الحق مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر،العدد119،السنة 1957.
5. خليل شكري مياس،فاعلية الذاكرة في الكتابة الشعرية مجلة الموفق الأدبي، العدد 33 آدار.

سادسا:مواقع إلكترونية

1. معلومات عن الأسطورة على موقع thes.bucf.firenze.sbr.it

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة.....أ

الفصل الأول: السجع وسجع الكهان

مدخل.....2

المبحث الأول:مفهوم السجع و سجع الكهان.....3

* أ.لغة.....3

* ب.اصطلاحا.....4

* السجع وسجع الكهان.....6

المبحث الثاني:الكهان عند عرب الجاهلية وفي القرآن الكريم.....11

- الكهانة.....11
- الكهانة عند عرب الجاهلية.....14
- الكهانة في القرآن الكريم.....20

المبحث الثالث:الكهانة والنبوة وما يتعلق بهما.....28

- الكهانة و النبوة.....28
- السحر.....30
- التنجيم.....33

الفصل الثاني:الأسطورة والأسطورة العقائدية

مدخل.....37

المبحث الأول:تحديد المفاهيم"الأسطورة،الدين،الأسطورة الدينية" 40

*مفهوم الأسطورة..... 40

أ.لغة.....42

ب.اصطلاحا.....43

- مفهوم الدين.....43

أ.لغة.....44

ب.اصطلاحا.....46

- مفهوم الأسطورة الدينية.....48

المبحث الثاني:الأسطورة عند"العرب، في القرآن الكريم، الغرب".....48

- عند العرب.....48
- في القرآن الكريم.....52
- عند الغرب.....55

المبحث الثالث:علاقة الأسطورة بغيرها من المصطلحات المشابهة لها.....62

- علاقة الأسطورة بالخرافة.....62
- علاقة الأسطورة بالحكاية البطولية والشعبية.....63

أ.الحكاية البطولية.....63

ب.الحكاية الشعبية.....65

- علاقة السطورة بالفلكلور.....65

نماذج عن الأسطورة الدينية.....68

- السعلاة.....68
- نشأة الكون.....73

خاتمة.....79

بيبليوغرافيا.....82

ملخص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيب الحق وسيد الخلق مُحَمَّد صلى الله عليه و سلم.

هذا الملخص يندرج ضمن الأدب الحديث و المعاصر لرسالة تخرج ماستر بعنوان:"الأسطورة العقائدية في سجع الكهان".

تعرضنا في هذا البحث إلى سجع الكهان في العصر الجاهلي، الذي يعتبر فنا من الفنون النثرية يعتمد مجموعة من الجمل المترادفة والمتوازنة يستخدمها الكاهن الذي يدعي معرفة الغيب، وفي عصر الرسول عليه الصلاة والسلام،لم يرتبط السجع فقط بالكلام الفصيح بوجه عام، بل بأقوال العرافين والكهان كذلك، و قد ساد الاعتقاد في هؤلاء الكهان أنهم كانوا على اتصال بالجن، حيث استعملوا السجع لتأدية بعض الأغراض الوثنية،مثل التنبؤ بالمستقبل، وإبعاد الشر. ومن أهم ما ميز أسجاعهم غموض الألفاظ وكثرة الاختلاف والتأويل، إضافة إلى كثرة الأقسام والإيمان بالكواكب والنجوم، وغيرها من الظواهر.

و في هذه الدراسة فتحنا خزان الثقافة الإنسانية الذي ينضب في محاولة منا لدراسة نوع مهم من الأساطير هو "الأسطورة الدينية" محيطين بكل جوانبها،ففقد كان الاعتقاد السائد أن الأسلاف نقلوا الأساطير إلى الأجيال اللاحقة، وأن الأسلاف أنفسهم نقلوها من الآلهة، وكانت الآلهة بالنسبة لتلك المجتمعات كائنات واقعية بواقع الجماعة،لذلك لم تظهر لديهم أي دوافع للشك في هذه الحقيقة.

وقد عرفت الأسطورة بأنها مجموعة من الأفكار و المعتقدات الشبيهة بالقصص انتقلت بين الأجيال قبل الإسلام، و عرفها العرب بأنها علم قديم مرتبط ببداية الإنسان و أنها ليست مجرد محض أكذوبة إذ فيها شيء من الحقيقة.و في نظرة أخرى هي واقع ثقافي جد معقد،إذ أنه من العسير أن نجد تعريف للأسطورة يجتمع عليه رأي العلماء المختصين. كما أشرنا إليها في القرآن الكريم بعد تعريفها عند العرب.ثم تطرقنا إلى التعريفات التي وضعها الأدباء الغربيون، حيث اتضح لنا تباين مواقفهم اتجاه الأسطورة فهي قصة رمزية يعتريها الغموض تحمل في بنيتها العميقة خلاصة تجربة الشعوب الفكرية على المستوى الديني والنفسي والاجتماعي، وهي عند البعض وليدة الخيال، والبعض الآخر يراها منبعا للمعرفة السابقة للفكر.

كما بحثنا في علاقة الأسطورة بالفنون المشابهة لها، بالخرافة والحكاية البطولية والحكاية الشعبية والفلكلور. ولخصنا إلى تعريف الأسطورة الدينية بأنها نظام التصورات التي تخلق الأفكار التي تتحول إلى دستور يهتدي بها الإنسان في حياته الاجتماعية.

و قد دعمنا دراستنا هذه ببعض النماذج التي توضح لنا صورة الأسطورة الدينية، وكيف كان تفكير الإنسان في تلك الحقبة، مختتمين بحثنا هذا بمجموعة من من النتائج والأهداف التي سطرتها هذه الأخيرة.

و كما جاء على لسان الأصفهاني:"أنه لا يكتب إنسان في يوم إلا قليل في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل، وفي هذا أعظم العبر على استيلاء النقص على جملة البشر".

و صلى الله و سلّم على نبينامُحَمَّد و على آله و صحبه و سلّم تسليما كثيرا .

Abstract:

In the name of God, the Most Gracious, the Most Merciful, praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon the Beloved of the Truth and Master of Creation Muhammad, may God bless him and grant him peace.

This summary falls within the modern and contemporary literature of the Master's graduation thesis entitled: "The doctrinal myth in the sojourn of soothsayers."

In this research we have dealt with the loudness of priests in the pre-Islamic era, which is considered an art of prose that relies on a set of synonymous and balanced sentences used by the priest who claims to know the unseen, and in the era of the Messenger, may blessings and peace be upon him, assonance was not related only to eloquent speech in general, but to the sayings of fortune tellers and soothsayers. Likewise, these priests believed that they were in contact with the jinn, as they used assonance to perform some pagan purposes, such as predicting the future and banishing evil. Among the most important features that distinguished their braves were the ambiguity of the words, the abundance of differences and interpretation, in addition to the large number of sections and belief in the planets and stars, and other phenomena.

In this study, we opened the reservoir of human culture that is depleting in an attempt by us to study an important type of myth, which is the "religious myth" surrounding all its aspects. The prevailing belief was that the ancestors passed on myths to subsequent generations, and that the ancestors themselves transmitted them from the gods, and the gods were in relation to those Societies are realistic beings of the reality of the group, so they did not appear to have any motive to doubt this fact.

The myth was defined as a set of story-like ideas and beliefs transmitted between generations before Islam, and the Arabs knew it as an ancient science

linked to the beginning of mankind and that it is not just a lie as it contains some truth in it. In another view it is a very complex cultural reality, as it is It is difficult to find a definition of the myth on which the opinion of expert scholars can agree. We also referred to it in the Noble Qur'an after its definition by the Arabs. Then we touched upon the definitions set by Western writers, as it became clear to us that their stances differ towards the myth. Imagination, while others see it as a source of prior knowledge.

We also examined the relationship between myth and similar arts, with myth, heroic tale, folk tale and folklore. We summarized the definition of religious myth as a system of perceptions that create ideas that are transformed into a constitution that guides man in his social life.

Our study supported us with some models that illustrate the religious myth and how human beings thought in that era, concluding our research with a set of results and goals that the latter set.

And as it came from Al-Isfahani: "A person does not write one day except a few in the next. If he had changed this, it would have been better, and if such was added, it would have been better. And if he had presented this it would have been better. If he left this, it would have been more beautiful. .

And may God's prayers and peace be upon our Prophet Muhammad and his family and companions.